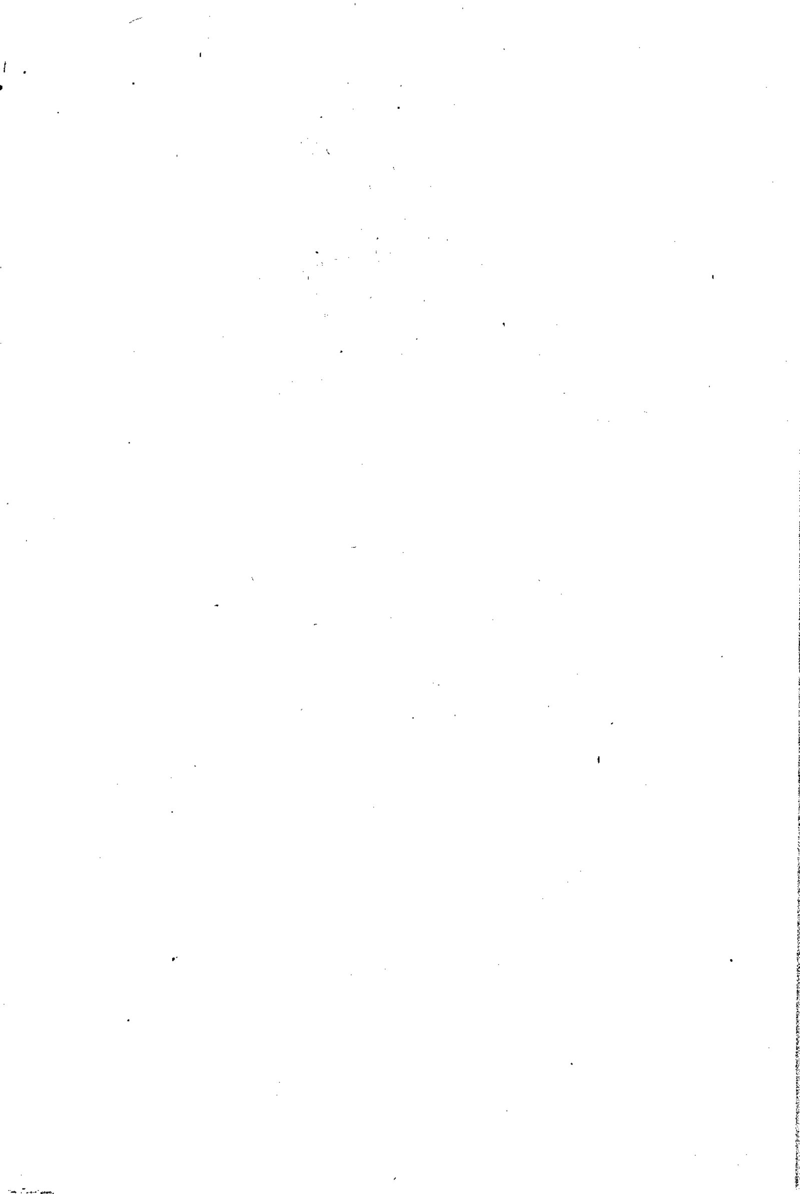
آن هامبسون

أعدني إلى أحلامي



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨







روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

١ـ تحت سقف الغرباء

قرية دورست الواقعة في منطقة هافينغتون، قرية ريفية هادئة، منعزلة عن ضوضاء المدن وضجيجها. سكّانها عاديون، نادراً ما يقع في حياتهم اي حدث مثير، او خارج عن نمط الحياة اليومية ورتابتها ذات الايقاع الواحد. فوصول رجل غريب مثل السيد دورين كوراليس، لا شك أذهل سكان القرية ووضعهم في حالة اثارة ودهشة وتساؤلات. دورين كوراليس، يوناني، وسيم الطلعة، طويل القامة، بات محور حديث سكان القرية.

أعلنت السيدة بوترتون، المسؤولة عن مركز البريد المحلي، مخاطبة السيد غودفري، بعدما غادر دورين الغرفة وهي تلاحقه

بنظرات ملؤها الاعجاب:

«يبلغ طوله ستة اقدام وثلاث بوصات».

«نعم، من المؤكد ان الآنستين في منزل عائلة لوزار، تتنافسان لنيل اعجابه».

«تانيا تفوز دائماً باعجاب الرجال. اما جولييت، فلم تهبها الطبيعة اي جمال يؤهّلها حتى لمنافسة ابنة خالتها».

«لكن جولييت تفوق تانيا لطافة ورقة، وغالباً ما اتساءل عما يجعلها تمكث في منزل خالتها».

«لا شك انها ستغادرهم عندما تبلغ السن القانونية».

«مسكينة، يعاملونها مثل الخادمة تماماً، فمنذ وفاة والديها من جراء حادث سيارة وهي تعيش تحت رحمة عائلة لوزار. تبعاً لقرارهم بالاعتناء بها وتبنّيها. قالوا انها ستكون رفيقة لابنتهم تانيا، وذلك يخفف من وحشة الطفولة المستوحدة. لكن جولييت لم تلق منهم الآ معاملة قاسية جافة. وها هي الآن في السابعة عشرة من عمرها وعليها ان تتولى تنظيف المنزل بكامله وترتيبه بمفردها».

انهى السيد غودفري حديثه، وتنهدت السيدة بوترتون ثم قالت:

«سمعت ان تانيا واليوناني أمضيا سهرة عشاء ورقص في فندق الصحراء».

ثم قالت السيدة غولد سميث التي كانت قد دخلت قاعة البريد خلال الحديث:

«يبدو ان السيد والسيدة لوزار دعيا السيد كوراليس للمكوث في منزلهما كي يكون برفقة تانيا. . . راجيين ان يتم زفاف ابنتهما له في المستقبل العاجل. صحيح ان حالتهما المادية لا بأس بها، لكنهما ليسا اثرياء كما تعلمون. فدورين كوراليس ابن مليونير، يملك ابوه مراكب بحرية تجارية. ومن الطبيعي ان يسعيا لضمه الى عائلتهما».

وقالت السيدة سويل التي لسبب ما، لا تحمل اي مودة لجولييت:

«تانيا ودورين يشكلان ثنائياً رائعاً، هذا امر ظاهر، وانا شخصياً ساسعد لرؤ يتهما معاً كزوجين».

لكن السيدة غولد سميث التي لا تشاركها هذا الرأي قالت:

«بالنسبة لي ارغب لو تفوز جولييت باعجابه. فذلك يبرهن لتانيا واهلها ان جولييت غير الفتاة المنبوذة الضائعة التي يحاولون ان يوهمونا بها».

صاحت السيدة سويل:

«جولييت».

وظهر الاشمئزاز على وجهها:

«لكنها قبيحة».

قاطعها السيد غودفري قائلاً:

«ليست قبيحة. متوسطة المظهر بالأحرى، لنكون اكثر انصافاً. ولها عينان جميلتان وبشرة ناصعة». . .

«لا تملك ثقة النفس والرشاقة التي تتحلى بهما تانيا. فهي

خجولة جداً لدرجة غير اعتيادية، مما يجعلني اتساءل عما اذا كانت تتصنع الخجل».

صاح السيد غودفري:

«تتصنع الخجل»؟

ثم تابع قائلاً:

«لكن جولييت لم تزل في السابعة عشرة من عمرها، بينما تانيا لها احدى وعشرون سنة من العمر».

قاطعته السيدة بوترتون:

«لا تنس ان جولييت لم تر شيئاً من هذا العالم بعد. فهي سجينة في منزل خالتها وعائلتها، حتى انهم رفضوا اصطحابها معهم الى اليونان في السنة الماضية حين ذهبوا لقضاء عطلة الصيف».

«خلال العطلة تمت معرفتهم بالسيد كوراليس. اليس كذلك»؟

«نعم، التقت تانيا به في مكان ما ثم قدمته الى والديها. من الارجح انهم استمروا في مراسلته حتى نجحوا في دعوته لقضاء بضعة ايام في ضيافتهم».

«يبدو لي انه يختلف تماماً عن عائلة لوزار».

«وما تعنين بذلك»؟

«يظهر انه يفوقهم مكانة في المجتمع. ثم انه لا يبتسم ابداً. من النوع الذي يصعب التقرب منه. مما يجعلني اعتقد انه يعتبر عائلة لوزار دون مقامه».

«لكنه مهتمّ بتانيا».

في هذه اللحظة كانت تانيا تواجه ابنة خالتها وفي نظرتها غضب شديد. كانت تحمل فستاناً اسود مخملياً رمته في وجه جولييت قائلة:

«قلت لك منذ الاسبوع الماضي، انه يحتاج للتصليح».

«هذا غير صحيح. قلت لي انه يحتاج للتنظيف فقط».

«اذكر جيداً ما قلته لك. هيا قومي بتصليحه حالاً. ساحتاج لارتدائه هذا المساء».

اجابت جولييت:

«آسفة».

ثم اضافت وهي تحمل الثوب بعناية شديدة:

«ساصلحه حالاً».

كانت تانيا ما تزال ترمق ابنة خالتها بحقد وغضب، وقالت:

«ثم عليّ ان احذّرك ان تكفي عن محاولة لفت انتباه دورين، فذلك يزعجه تماماً».

«لكني لم احاول ذلك قطعاً».

ضحكت تانيا بسخرية وقالت:

«ربما يجب ان اذكّرك ايضاً، انك بسيطة المظهر ويعتبرك دورين قبيحة. اتسمعين؟ قبيحة. فلا تحاولي ازعاجه من جديد».

وفجأة قالت تانيا:

«لماذا صبغت شعرك»؟

ثم اطلقت ضحكة رنانة واضافت:

«اعلم السبب. فعندما عدت من عطلة الصيف في اليونان، اطلعتك على صورة لدورين. وذكرت لك انه يفضّل السمراوات. وعندما علمت انه قادم الى انكلترا بسبب اعماله، وانه سينزل ضيفاً في منزلنا لبضعة ايام، قررت صبغ شعرك اسود لجذب انتباهه. اليس كذلك يا اميلي»؟

«اميلي ليس اسمي. اعني انه ليس اسمي الاول، وطلبت منكم جميعاً مرات عديدة ان تدعوني جولييت».

«اسمك اميلي في هذا المنزل. كان ولم يزل منذ مجيئك للمكوث معنا».

«لكن والدي اطلق علي اسم جولييت».

«ربما. لكننا نفضل دعوتك اميلي. لنعد الى موضوعنا السابق. لماذا صبغت شعرك؟ هيا قولي لي. يا لك من مسكينة، وقعت في حب صورة والشعر الاسود لم يساعدك ابداً. فدورين لم يلاحظ حتى وجودك».

«اميلي»!

سمعت جولييت صوت خالتها تناديها من المطبخ، فاسرعت وفتحت باب الغرفة مجيبة:

«نعم خالتي»؟

«تعالي نظفي المطبخ. وعند انتهائك اجمعي الحطب وزوّدي المدفأة لهذا المساء».

«نعم خالتي».
رمقتها تانيا بنظرة ازدراء وقالت:
«يا لك من جبانة. تخشين الاعتراض لأوامر أمي».
قاطعتها جولييت بصوت مرتعش خافت:
«ذات يوم، يا تانيا. ذات يوم سأملك الشجاعة الكافية للمقاومة».
وغادرت جولييت الغرفة وفي يدها ثوب تانيا الرائع.
في اليوم التالي قصدت جولييت مركز البريد لشراء بعض الطوابع.
قالت السيدة بوترتون:
«اهلاً اميلي... المعذرة اقصد جولييت».
ثم اضافت:
«ليس من السهل يا عزيزتي ان نتذكر انك تفضلين ان نناديك جولييت بدلاً من اميلي. لقد اعتدنا ان ندعوك اميلي لوقت طويل».
اومأت جولييت رأسها وهمّت بتلو قصتها من جديد.
«كما تعلمين كنت في السادسة من عمري حين تولّى زوج خالتي وخالتي أمر تربيتي. وكما اخبرتك سابقاً اسمي في تذكرة النفوس: جولييت اميلي هاردي».
أجابت السيدة بوترتون مقاطعة جولييت بلطف:
«نعم يا عزيزتي اذكر».
«لا حاجة للشرح من جديد».

ترددت جولييت قليلاً لكنها قررت ان تكمل قصتها.
«كان والدي يدعوني جولييت دائماً، لكن خالتي مود قررت انها لا تحب هذا الاسم».
«لكنه اسم لطيف. لا ادري لماذا فضلت خالتك اسم اميلي بدلاً من جولييت».
«هكذا حصل. وارغمتني على قبول اسم اميلي ومنذ ذلك الحين يناديني الجميع بهذا الاسم».
شردت جولييت تتذكر الماضي وذلك اليوم الذي واجهتها فيه خالتها تعلمها ان اسمها منذ ذلك الحين، سيكون اميلي. وحين اعترضت جولييت والدموع تملأ عينيها، شارحة لخالتها انها تكره اسمها اميلي وهي معتادة على اسم جولييت، اجابت خالتها بغضب:
«الامر يعود لي. وعليك ان تتعلمي أمرين: الطاعة والامتنان».
وبعدها امرت السيدة لوزار ابنة اختها بكتابة هاتين العبارتين مئة مرة، كي لا يغادرا ذاكرتها ابداً.
«وهكذا يعرفني الجميع باسم اميلي».
في هذه الاثناء كان السيد غودفري قد دخل دائرة البريد.
وهمست السيدة بوترتون:
«نعم. اذكر عندما جاءت خالتك الى هنا قالت انها وزوجها قد قرّرا تبنّيك، وان اسمك اميلي لوزار».
«كان جولييت هاردي سابقاً. وذات يوم سيعرفني الجميع

باسمي الصحيح».

قال السيد غودفري:

«وبلون شعرك الطبيعي ايضاً».

ثم تابع:

«شعرك الاشقر جميل كما هو».

«أردته ان يكون بلون شعر ثانيا».

سألها السيد بوترتون:

«ولأي سبب»؟

وساد الصمت برهة. شرد ذهن جولييت تتذكر السبب الذي جعلها تغيّر لون شعرها من اشقر الى اسود.

فمنذ ان وقع نظرها على صورة دورين، غمر كيانها شعور غريب. احست بهذا الشعور من جديد حين علمت انه سيزور منزل خالتها. وتملّكتها رغبة شديدة في ان تلفت نظره اليها. ارادت ان تفعل ما بوسعها لجذب انتباهه، فصبغت شعرها بالاسود لعلمها انه يفضّل السمراوات.

وردا على سؤال السيد غودفري، الذي لم يزل ينتظر جواباً، قالت:

«ليس هناك اي سبب معيّن. اردت فقط ان يكون شعري اسود».

«من رأيي، ان على كل فتاة ان تقبل بما وهبتها الطبيعة من لون وجمال».

وبينما تابع السيد غودفري حديثه مخاطباً السيدة بوترتون،

لاذت جولييت بالصمت. كانت تفكر بما قاله السيد غودفري. لم تهبها الطبيعة الاّ القليل، بينما الامر يختلف كلياً بالنسبة لتانيا. قررت جولييت ان الاختلاف بينهما يعود الى التكوين الاساسي في عظام الوجه، وهو واقع اشبه بالقدر لا يمكن تغييره. ولم تكن محاولتها في لفت نظر دورين اليها، الاّ فكرة غبية فاشلة.

مضى على وجود دورين في منزل عائلة لوزار اسبوع بكامله. راقبت جولييت تنقلاته وتصرفاته جميعها.

وباتت تعرف تقاسيم وجهه بأدق تفاصيلها وانطبعت عيناه السوداوان الكحيلتان في مخيلتها، امّا طيفه فكان يسكن احلامها ليلياً.

ايقظتها ضحكة السيد غودفري من شرود افكارها، وسألتها السيدة بوترتون قائلة:

«كم سيطول بقاء السيد كوراليس في ضيافة خالتك وزوجها»؟

«لا اعلم بالضبط. اعتقد انه مرتبط بعمله في لندن».

«سمعت انه يتولى ادارة اعمال والده».

اومأت جولييت رأسها وقالت:

«نعم. اخبرتني تانيا ان والده يعاني من صحة سيئة، وان دورين المسؤول الوحيد عن جميع أعماله».

«سيرث ثروة ضخمة ذات يوم».

«لا شك في ذلك».

«سيترك رحيله فراغاً كبيراً في حياة اسرة لوزار. لا بد ان

وجوده برفقتكم كان له اثر سعيد».

«في الحقيقة، يقضي معظم اوقاته برفقة تانيا، فهو صديقها قبل ان يكون ضيفاً لاسرة لوزار».

«سمعت انه يقطن في جزيرة رودس».

«صحيح. كان يقطن هناك. ففي رودس تمّ لقاؤه بتانيا».

«هل يعيش مع والده الآن»؟

«يزور والده باستمرار. سمعته يقول لخالتي «مود» انه ينوي السكن في جزيرة زاسوس، حيث اشترى منزلاً مؤخراً. واعتقد انها جزيرة رائعة الجمال كما وصفها دورين. فمنازلها بيضاء مكسوة بالازهار التي تتدلّى من جدرانها، وتملأ حدائقها. وبحرها رائع بزرقته الدائمة».

قال السيد غودفري وقد قطب حاجبيه:

«كان عليهم اصطحابك معهم».

«انها مسألة تكلّف كثيراً من المال».

«لكنك منذ صغرك لم تحصلي على اجازة».

«ذات يوم في المستقبل ستكون لي عطلة ولا شك».

«انك على صواب. فهذا ما اعتقده ايضاً. اي بلد ستختارينه لقضاء عطلتك»؟

«اليونان طبعاً. ارغب في زيارة الجزيرة التي يسكنها دورين».

وغادرت جولييت البريد منطلقة بسرعة نحو المنزل، حيث استقبلتها تانيا بصوت ساخط:

«يا لك من مخلوقة كسولة».

وصاحت قائلة:

«أين كنت؟ حذائي بحاجة للتنظيف. اذهبي ونظّفيه حالاً وكما ينبغي».

«لكنني لا أهمل واجباتي ابداً».

«كفي عن اجابتي، لعلك نسيت انك تعيشين هنا تحت ظل احساننا نحوك».

لم تجب جولييت. كيف لها ان تنسى ذلك وهو امر يتردد على مسمعها كل حين، من قبل تانيا او خالتها او زوج خالتها. هرعت الى غرفة الغسيل وفي يدها حذاء تانيا. ووجدت عند وصولها مزيداً من الاحذية التي تحتاج للتنظيف. وسرت في عروقها دماء باردة. كم تود لو ان بوسعها ان تهرب، ان تهجر هذا المنزل وسكانه. ولكن الى اين؟ وليس بجعبتها الّا القليل من المال. قطع حبل افكارها دخول خالتها الغرفة وفي يدها كومة من الأغطية الوسخة... وقالت:

«هذه بعض الأغطية تحتاج للغسيل».

وتركت الحجرة. سمعت جولييت خالتها تتحدث الى تانيا في الغرفة المجاورة:

«... لا تلومي الّا نفسك. ليست الغلطة غلطتنا اذا لم يعرض دورين عليك الزواج بعد».

وتلاشت اصواتهما حين تركا الغرفة وتوجها الى قاعة الجلوس.

شعرت جولييت كأن طعنة غاصت في قلبها. مجرد فكرة زواج تانيا بدورين تجعلها تتمنى الموت. لكنه لم يعرض عليها الزواج بعد. وفي اعماقها كان قلب جولييت يتوسل بصمت:

«لا دورين. لا تتزوج تانيا. انتظرني ارجوك».

لكن دورين لم يكن يلاحظ حتى وجودها. فهي مجردة من اي جمال او جاذبية، بينما جمال تانيا يبهر اي رجل يقابلها. تانيا انيقة، رشيقة، تتقن اسلوب التحدث والتصرف في المجتمع. ولا شك انها تلائم دورين الذي يتحلى بشخصية مرموقة ومظهر وسيم، وثقة قوية في نفسه وامكانياته. وفي رأي جولييت انه اجمل واذكى رجل تعرفت عليه. هذا ما استنتجته حين تمّ لقاؤهما لاول مرة. عندما وضعت يدها الصغيرة المرتعشة في يده لتحييه قائلة:

«أهلاً».

وتولّت خالتها امر شرح سيرة حياتها لدورين قائلة:

«اميلي تكون ابنة اختي التي توفيت وزوجها في حادث سيارة. كانت اميلي في السادسة من عمرها حين تولينا امر تربيتها والاعتناء بها، محاولين جهدنا ان نهبها الحب الذي فقدته».

وشردت افكار جولييت الى ذلك اليوم حين وقع نظرها على دورين لأول مرة. اطلعتها تانيا على صورته. احست جولييت بشعور غريب يغمر كيانها. وحاولت بشدة اقناع نفسها انه من المستحيل ان تكون قد وقعت في حبه بهذه السرعة. وان ما تشعر

به مجرد احساس بالغبطة لظهور رجل غريب ومثير في اطار حياتها المملة، خاصة انه قادم من بلاد الاغريق . . . بلاد قرأت عنها الكثير، لكنها ما زالت غامضة في ذهنها، تماماً مثل دورين. لكن جولييت وجدت انها تواجه شعوراً قوياً تحمله تجاه دورين. اضطرت ان تخضع للواقع وهو انها تحبه. الحب الأول في حياتها. فدورين الرجل الوحيد الذي ايقظ فيها هذه المشاعر. لا تعرف اي رجل آخر، بينما يختلف الأمر بالنسبة لتانيا التي تنعّمت بحياة اجتماعية مثيرة، تعرّفت خلالها على رجال كثيرين منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها.

يغمر جولييت شعور بالنقص كلما قارنت نفسها بتانيا. وينبع هذا الشعور لا من اختلاف المظهر بينهما فحسب، بل من مكانتهما الاجتماعية ايضاً. نشأت جولييت ضمن عائلة لم تهبها الا القليل، بينما كرست هي اعواماً من حياتها لخدمة هذه العائلة، والاعتناء بحاجاتها وتدبير امورها المنزلية . . . اشبه بخادمة، حتى انها شعرت مراراً بأنها أدنى من خادمة. فالمعاملة التي تلقتها من عائلة لوزار معاملة جافة، قاسية، مجردة من اي احترام او شفقة او اعتبار. والحل الوحيد لانهاء هذه الحياة التعيسة هو الهرب . . . شعلة الأمل الوحيدة في افق مخيلتها، شعلة تتمسك بها بقوة آملة الاّ تنطفىء والاّ بقيت هي في هذا السجن المرير، تحت هذا السقف الابدي، في منطقة صغيرة من العالم كادت تمقت جميع ارجائها.

فجأة سمعت صوت تانيا تنادي من بعيد:

«اميلي.. هل انتهيت من تنظيف حذائي؟».
ودخلت تانيا الغرفة لتجد جولييت منهمكة بتنظيف الاحذية الباقية. وقالت هذه:
«نعم. تجدين حذاءك هناك».
«اذن، آتني به».
ضغطت جولييت على شفتها محاولة كبت الغضب الذي يغلي في اعماقها. باتت لا تحتمل طريقة معاملتها، وتتمنى لو تجد حلاً لهذا الوضع... الى متى تذلّ هكذا؟ اجابت بغضب:
«لن يضرّك ان تنحني قليلاً وتخدمي نفسك».
لكن تانيا اصرّت على الجمود واجابت بجفاء:
«آتني به حالاً».
عندئذ اطاعت جولييت... واحضرت الحذاء لابنة خالتها التي انتزعته منها بغضب وراحت تتفحصه بدقة. وقفت جولييت تتأمل تانيا، ثم خطر على ذهنها أمر مهمّ كانت تفكر به منذ وقت طويل، فقالت:
«سأسأل خالتي ان كان بامكاني الالتحاق بالمعهد التجاري للتخصص كسكرتيرة».
«لكنك سألتها من قبل».
«سأسألها من جديد».
توقفت جولييت عن الكلام حين فوجئت بدخول خالتها الى الغرفة. وسألت هذه بصوت قاسٍ، مجرد من أي لطف:
«ما هذا الذي سمعته؟».

فأجابت جولييت بصوت مرتعش:

«كنت أقول انني ارغب في الالتحاق بالمعهد التجاري لاكتسب تدريباً في حقل الشؤون المكتبية. اذا كان الأمر ممكناً طبعاً».

«لكننا عالجنا هذا الموضوع من قبل. وكما قلت لك من قبل، ان زوجي قد صرف ما يكفي من المال على تربيتك المدرسية، وليس من اللياقة ان تتوقعي منه المزيد... يا لك من جاحدة ناكرة للجميل».

«لكنني أعده بتسديد جميع التكاليف».

صاحت ثانيا:

«أبي ليس مليونيراً».

واضافت:

«لقد كلّفته ما يكفي».

شحب لون جولييت. واستطردت تشرح لخالتها وثانيا انه من الطبيعي ان تفكر بالمستقبل، وباليوم الذي تعيش فيه لوحدها...

«... ثم ارغب بالسكن في منزل مستقل».

«أتعنين ان هذا المنزل لم يعد يليق بحضرتك؟ يا لك من فتاة بغيضة. وربما نسيت انه لو لم يتولّ أهلي أمر تربيتك لكنت نشأت في ميتم».

حينئذ وصل زوج خالتها متسائلاً عما يجري، فسمع جولييت تقول:

«اذن، عليّ ان امكث هنا وابقى في خدمتكم طوال حياتي. خادمة مجانيّة».

وما ان سمع زوج خالتها هذا، حتى قاطعها بصوت صارم:

«اذهبي الى غرفتك حالاً. وامكثي هناك حتى تقرري ان تعتذري لنا».

٢ - نزهة في الغابة

كانت جولييت في غرفة الطعام حين وقع نظرها على دورين يتنزه في الحديقة وبرفقته تانيا، وكانت ترتدي ثوباً رائعاً مفصلاً بحيث يظهر قامتها الجميلة المتناسقة.

كانت جولييت تراقبهما بنظرة حالمة، وترغب لو ان دورين يقع في حبها هي. ولم لا؟ حتى لو انها لا توازي تانيا جمالاً وجاذبية، تعرف عن كثيرات اقل منها جمالاً حالفهن الحظ وتزوجن رجالاً ذوي شأن...

ولسبب ما، تركت تانيا دورين بمفرده. دخل دورين غرفة الطعام وحين وقع نظره على جولييت خاطبها قائلاً:

«ماذا تفعلين اليوم يا اميلي؟ لا اراك الا نادراً».

صحيح، فهي منهمكة دائماً بالأعمال المنزلية. ابتسمت جولييت واجابته:

«كنت اعتني بالحديقة. وانت؟».

«لقد انهيت كتابة بعض الرسائل. ثم قمت بجولة في القرية».

«أأحببت قريتنا؟».

اجابها مجاملاً:

«كثيراً».

ثم بدا عليه الملل. والقى نظرة نحو باب الغرفة. فقالت جولييت محاولة لفت انتباهه:

«ما هي الا دقائق معدودة وتعود تانيا».

«لا اعتقد. فأنا اعرفها جيداً. عندما تنهمك بتحسين مظهرها تنسى مرور الوقت ويستغرق الامر ساعة على الأقل».

تبين لجولييت شيء من التذمر في صوته فسألته مستفهمة:

«لا شك انك تنسجم مع تانيا. اليس كذلك؟».

قطب دورين حاجبيه واجاب:

«طبعاً».

وبدا على وجهه تعبير لئيم ومتعجرف ارتبكت له جولييت... وفجأة وجدت نفسها تخاطبه قائلة:

«دورين. ما رأيك بمرافقتي في نزهة في الحديقة؟».

نظر اليها بدهشة واجاب:

«حسناً. اذا شئت».

ابتسمت جولييت، وغمرت الفرحة قلبها. تمنت لو كانت ثقتها بنفسها اقوى مما هي. سألها دورين وابتسامة ساخرة تعلو وجهه:

«اتصرين على النزهة في الحديقة؟».

«الغابة رائعة الجمال في طقس كهذا».

«الغابة؟».

«الم تصطحبك تانيا الى الغابة بعد؟».

«لا».

«حسناً اذن. ستكون هذه المرة الأولى. وسنشارك معاً مكاناً خاصاً. مكاناً سرياً».

تجهم وجه دورين ورمقها بنظرة عابسة مجيباً:

«يا لك من فتاة غريبة الأطوار يا اميلي».

«ماذا تعني بذلك؟».

«اعني انه امر غريب ان تطلب فتاة في سنك من رجل انَ يتنزه برفقتها في الغابة. لو كنت في وطني اليونان، لانهال عليك ولي امرك بالضرب القاسي».

جمدت جولييت في مكانها وارتعش قلبها واجابت:

«لم يعجبني ما قلته ابداً».

«هذا ما كنت اتوقع».

«هل انت غاضب مني؟».

«اريد ان اعلم ما يجوب في خاطرك».

لم تجب جولييت، فهي نفسها لا تعلم الدافع وراء هذه

النزهة . . . وغيرت الموضوع قائلة:
«هناك ممر يؤدي الى شلال رائع».
بقي دورين عابس الوجه ولم يجب. وفي طريقهما الى الشلال اقتربت منه جولييت ولمست يده قائلة:
«هل تمانع لو امسكت بيدك؟».
«واذا مانعت؟».
«لم المس يد رجل من قبل».
سألها والشك يساوره:
«ابداً؟».
ثم استطرد قائلاً:
«هل تتوقعين مني ان اصدق ذلك؟».
«لكنها الحقيقة».
ساد الصمت بينهما لدقائق طويلة. ثم وصلا الى حيث الشلال، فتوقف دورين وواجه جولييت قائلاً:
«والآن ماذا تريدينني ان افعل؟».
«كن معي».
واحنت رأسها منتظرة منه ان يغازلها. احنى دورين رأسه قريباً من خديها فارتعشت كطير خائف. جذبها نحوه، فشعرت جولييت انها غادرت طفولتها الى الابد. وانها اذا فتحت عينيها هذه المرة، ستواجه العالم كامرأة ولدت من جديد. فجأة ابتعد عنها دورين قائلاً:
«هل اعجبك ذلك؟».

«نعم». .

واقتربت منه متمسكة به، محاولة بطريقتها الساذجة الطفولية ان تعبر له عن حبها. لم تفكر لحظة ان كونه رجلاً دنيوياً يجعله لا يؤمن بالحب كما تعرفه هي. كانت جولييت تجهل ان الحب والزواج في وطنه امران منفصلان تماماً عن بعضهما، وان تصرفها تجاهه يجعله يحتقرها. فبينما كانت تحاول ان تهبه حبها، اساء فهمها وظنها تريد الاستسلام له. ولا بد انه كون في ذهنه صورة عنها كفتاة طائشة، رخيصة ترمي نفسها امام اي رجل دون تردد. تماماً كما فعلت تانيا. ولم يدر بخلدها حينئذ ان حبها له سيتحول فيما بعد الى كراهية مرة، كراهية ستلتهمها الى حد بعيد، بحيث ترغب من صميم قلبها ان تذله، ان تشوه سمعته مهما امكنها ذلك.

عانقها دورين من جديد ثم قال:

«هيّا علينا ان نعود».

«لكن لم يمض على غيابنا سوى بضع دقائق».

اجاب دورين بصوت صارم:

«قلت علينا ان نعود».

وجعلها هذا تلازم الصمت وتتبعه متساءلة عما اغضبه. خاصة بعد ان تقاسما منذ قليل لحظات حميمة تبادلا خلالها عاطفة معينة كانت هي الحب... كما تعرفه جولييت. اضطرت ان تسرع قليلا لتلحق به... وحين اقتربت منه قالت:

«دورين. ارجو الا تكون غاضباً مني».

«اسكتي»...

«لكن»...

«لا، لست غاضباً منك».

«لكن نبرة صوتك تدل على العكس».

وامتدت يدها تمسح دمعة سالت على خدها واستطردت قائلة:

«قضينا لحظات رائعة ولو كانت قصيرة ... الا تعتقد ذلك؟».

رمقها دورين بنظرة عابسة تلمؤها التساؤلات. فهو لا يدري معنى تصرفاتها الغريبة. كيف له ان يعلم انها امضت حياة منعزلة؟ حياة فتاة منبوذة في منزل اضطرت على العيش فيه، حيث تشغل مكانة الخادمة ويتوقع منها الجميع ان تتعلم شعوراً واحداً فقط... هو الشعور بالامتنان؟ كيف له ان يعلم، ان اللحظات العابرة التي امضياها معاً ... كانت بالنسبة لجولييت بحراً من السعادة؟ لو علم دورين الحقيقة، وهي انها لم تعرف الحب قبل الآن... لو عرف شدة توقها الى الحنان، وحاجتها اليه... لما فعل ما فعل، ولما كانت النتيجة ان يكره جولييت الى هذا الحد.

كان الصباح مشرقاً والثلج يغطي التلال. ورائحة الطعام تملأ المنزل. استيقظت جولييت من نوم عميق ودخلت المطبخ

مرتدية ثوباً فضفاضاً، ناعماً يلائم قامتها الرشيقة.
«عيد ميلاد سعيد».
«شكراً ماغ. رائحة الطعام شهية جداً».
اجابت ماغ والابتسامة تعلو وجهها:
«هذا لانني طباخة ماهرة».
ثم ادارت رأسها نحو علبة مغلفة بورق احمر ساطع.
«هديتك. تجدين بطاقة المعايدة في الداخل. ارجو ان يكون عيد ميلادك عيداً ساراً مليئاً بالمفاجآت السعيدة».
«شكراً ماغ».
واقتربت جولييت لتكشف ما في العلبة. وجدت فرشاة للشعر فضية اللون.
«ماغ. انها رائعة».
وراحت جولييت تسرح شعرها الذهبي الاشقر الذي كانت اشعة الشمس تتراقص فوق خصلاته الطويلة الحريرية.
«يسعدني انها اعجبتك. اخترتها لك منذ شهر تقريباً. اردت ان اعبر لك عن امتناني لأنك جعلتني اشاركك بيتك».
«امتنان؟ ارجو الا تتفوهي بهذه الكلمة ابداً».
بدا التعجب على وجه ماغ، لكنها سرعان ما تطرقت الى موضوع مختلف وقالت:
«آتيك الآن بطعام الفطور الذي اعددته لهذه المناسبة».
وما هي الا دقائق حتى عادت ماغ تحمل صينية وعليها طعام الفطور.

«انا اليوم في خدمتك. ما عليك الا ان تأمري وسأنفذ».
ضحكتا معاً، ثم جلستا لتناول الطعام قرب النافذة التي تطل على حديقة المنزل الجميلة...
همست جولييت:
«خمسة وعشرون».
ثم اضافت:
«لا شك ان حياتي تغيرت كثيراً خلال السنين الماضية».
رمقتها ماغ بنظرة تساؤل لكنها لم تعلق. ملأت فنجانها بالقهوة وعندما نظرت الى جولييت من جديد، وجدت على وجهها نظرة تجهم فسألتها:
«ماذا يعكر صفو افكارك؟».
لم تجب جولييت الا بعد لحظات من الصمت الطويل.
«رجل يدعى دورين كوراليس».
«رجل؟ لم اشاهدك يوماً برفقة رجل».
«تعرفت على واحد او اثنين، وخرجت معهما قبل مكوثك هنا برفقتي».
«وهذا الرجل. هل هو انكليزي؟».
«لا . يوناني».
«واين تعرفت عليه؟».
«هنا في انكلترا. خلال زيارته لهذا البلد».
شردت افكار جولييت كأنها تحاول ان تسبر الماضي، ثم قالت:

«نعم، لقد مضى وقت طويل منذ ذلك اللقاء».

«اعرفك منذ سنين، ولم تبوحي بشيء عن ماضيك بعد».

«لا امانع في الكلام عن الماضي، لكن اخشى ان تجدي قصتي مملة».

«لا اعتقد ذلك. بل يسرني ان اعرف شيئاً عن ماضيك، فذلك يساعد في توطيد علاقتنا».

شرعت جولييت تسرد قصتها منذ البداية. تحدثت عن دورين كوراليس. كيف تمت معرفتها به، وكيف صبغت شعرها بالأسود لتلفت نظره اليها. وعند سماعها ذلك صاحت ماغ:

«ماذا؟ صبغت هذا الشعر الاشقر الرائع؟ لا شك انك فقدت صوابك».

«صحيح. كنت قد فقدت صوابي. وقعت في حب هذا الرجل منذ ان اطلعت على صورته مع تانيا. اردته ان يلاحظني، ان يبادلني شعوري، لكنني كنت احارب في معركة خاسرة منذ البداية. فتانيا ساحرة الجمال، بينما كنت انا بسيطة المظهر الى حد البشاعة في ذلك الحين».

واطلقت جولييت ضحكة عالية عند رؤيتها التعبير الذي ارتسم على وجه ماغ.

«لكن من المستحيل ان اصدق انك كنت قبيحة المظهر».

ابتسمت جولييت، واستمرت تتلو قصتها والحادثة التي جرت في الغابة بينها وبين دورين.

«يبدو انه ظنك فتاة سهلة الاغراء».

«ربما . لكنني لن اغفر له ما فعل نتيجة تصرفي الطائش الساذج».

«قبل ان تتابعي. اخبريني هل تزوج ابنة خالتك؟».

«لا اعتقد. فالرجل اليوناني لا يتزوج خليلته. رغم ان تانيا جعلتني اعتقد في ذلك الوقت انه طلب يدها للزواج. صدقيني ان هذا جعلني ابكي طوال الليل. بقيت على هذه الحالة اياماً عديدة لم اعرف خلالها سوى البؤس والتعاسة وخيبة الأمل. كانت اياماً لا اتمناها لأحد».

«هل علمت حينذاك انهما كانا عاشقين؟».

«لا . كنت في السابعة عشرة من عمري. نشأت في القرية ولم اخرج برفقة رجل ابداً. لم اكن اعرف شيئاً عن العالم. كنت اعتقد ان العلاقة التي تربط تانيا بدورين علاقة بريئة. ولم ار فيها اي شر».

توقفت جولييت عن الكلام قليلاً لتجمع افكارها ثم قالت:

«مهما كانت الفكرة التي كونها عني في ذلك الوقت، ليس هناك ما يبرر ردة فعله. فلو لم يتسرع، لكان ادرك اني اختلف تماماً عن تانيا. فهي استسلمت له منذ لقائهما الأول».

«وكيف تعلمين ذلك؟».

«كنت في الحديقة ذات مساء وسمعتها تقول له «لم يمض على لقائنا سوى وقت قصير، وها نحن نقاسم بعضنا نعيماً من الاحاسيس». طبعاً لم افهم معنى كلامها حينذاك ولكنني فهمت

بعد ان بلغت عمراً معيناً».

«ماذا فعل دورين اثناء نزهتكما في الغابة؟».

«لم يفعل شيئاً في البداية. لكنه اساء فهم النظرات الودية التي رمقته بها خلال الايام التي امضاها معنا. نظرات جعلته يعتقد انه من السهل ان يحصل علي جسماً وروحاً متى شاء».

«وانت في سذاجتك بقيت تجهلين حقيقة افكاره».

«طبعاً. وحين اساء فهمي، قرر ان يواجه خالتي وزوجها ويصارحهما بما حصل. وحذرهما انه اذا لم يتخذا التدابير اللازمة، سأسبب لهما متاعب شتى. اخبرهما انني حاولت اغراءه، وانه كان من السهل عليه ان يستغل الموقف. لكن شهامته وحرصه على سمعة العائلة التي استقبلته في منزلها منعته عن ذلك».

«جولييت.. يا له من انسان بغيض. انت اشرف فتاة تعرفت عليها».

«كما قال دورين، لو كنت في وطنه لكان ولي امري انهال علي ضرباً. صدقيني ان زوج خالتي كاد يقوم بالمثل لو لم اهدده بتبليغ الشرطة».

«وماذا فعل اذن؟».

«تحولت معاملته لي من سيء الى اسوأ. واظهر الجميع نحوي احتقاراً وازدراء لا يمكن ان يتحمله احد. والذي جعل الأمر اسوأ هو ان تانيا نشرت الخبر في القرية كلها، فبات الجميع يتجنبونني، حتى اعز الاشخاص واقربهم لدي. وذات

يوم اعترضني رجل من القرية وانا في طريق منعزلة وحاول الاعتداء علي. شرعت اصرخ وابكي. ووضع يده على فمي طالباً مني ان اكف عن التمثيل، فجميع سكان القرية يعرفون اي نوع من الفتيات انا».

واغرورقت عينا جولييت بالدموع وهي تكمل قصتها:

«في النهاية اتى السيد غودفري لمساعدتي. كان دائماً بمثابة صديق لي. لكنني لمحت على وجهه خيبة امل وكأنه يفكر انني نلت ما استحق.

بعد ذلك باتت الحياة في القرية لا تطاق. ولم يكن في جعبتي سوى القليل من المال. قررت ان اترك القرية واواجه العالم مهما كان الثمن. وذات ليلة مظلمة بعد ان نام الجميع، حملت حاجياتي ورحلت».

«الى اين؟».

«كما تعلمين، لم يكن لدي اي مكان التجىء اليه. تملكني الزعب. اذ وجدت نفسي اواجه عالماً لا ادري عنه شيئاً. اسرعت الى محطة القطار واشتريت بطاقة الى مانشستر. كان القطار على وشك الانطلاق، فلم يسنح الوقت للحمال الذي كان يعرفني ان يسألني عن شيء. وساورني الشك في انه ربما سيبلغ الشرطة، فتركت القطار قبل وصولي الى مانشستر بمحطة واحدة. ثم ركبت القطار الكهربائي الى روكبي، التي تبعد عن مانشستر عدة اميال».

«روكبي؟».

«لم يبق معي سوى باون واحد. ولم يكن باستطاعتي الذهاب الى اي مكان آخر. كانت روكبي تعج بالمارين، فقضيت الليل في محطة القطار وفي الصباح التالي انطلقت الى المدينة لايجاد مكان رخيص اسكن فيه، ثم ذهبت ابحث عن عمل».

توقفت جولييت قليلاً محاولة ان تتذكر ما حصل بالتفصيل.

كانت ماغ جالسة على الاريكة تفرك يديها بعصبية، وعلقت جولييت قائلة عندما لاحظت هذا:

«لا حاجة الى القلق. انه الماضي، وهو مضى ولن يعود».

«اعلم ذلك، لكنني لم اسمع من قبل قصة مثيرة ومحزنة الى هذا الحد. وماذا فعلت بعد ذلك؟».

«يبدو انني في طريقي الى المدينة تعرضت لحادث فظيع».

«حادث؟».

«حادث ارتطام بباص. لا اذكر شيئاً عن الحادث لكن حسب تقرير الشهود، يبدو انني عبرت الطريق وكأنني احاول الانتحار».

«يا لك من مسكينة. لم يكن عمرك سوى سبع عشرة سنة، وحيدة خائفة، ولا احد يبالي. جولييت... اكاد انفجر بالبكاء».

«ماغ، يا عزيزتي اهدأي. فكما قلت لك لم يعد الماضي سوى ذكريات. لا اذكر من ذلك اليوم سوى انني كنت اسير في الطريق وفي قلبي حقد وضغينة تجاه ذلك الرجل الذي حطم حياتي، وكان سبب الاضطهاد الذي تعرضت اليه. وعندما

استيقظت في المستشفى، اخبرني الطبيب ما حصل واعلمني انني اعاني من جراح عديدة بالاضافة الى تشويه بالغ للوجه».
اومأت ماغ برأسها اذ ادركت نتيجة ما حصل فقالت:
«وكان الحل الوحيد اجراء عملية تجميل جراحية».
«نعم. الحقيقة انني كنت قبيحة المظهر من قبل. فقبلت ان اخضع لعمليات متتابعة كانت نتيجتها ان تغير وجهي كلياً. كان الطبيب جراحاً بارعاً، ادى عمله بشكل متقن يقرب من المثالية».
«لا شك انه ابدع في محاولته».
تورد وجه جولييت واجابت:
«صحيح. انني مدينة له بتحويل مجرى حياتي كلها. بقيت في المستشفى لمدة عشر اشهر، لم يعرف فيها احد هويتي الشخصية اذ فقدت اوراقي من جراء الحادث. وتصنعتُ فقدان الذاكرة. والطبيب الذي كان يعالجني منع اي شخص مهما كانت اهميته من ازعاجي، واعطى الممرضات المسؤولات عني اوامر صارمة بابقائي في حالة راحة كاملة. اذ يساعد ذلك على شفائي العاجل ونجاح العملية الجراحية. وقبل خروجي من المستشفى سمح الطبيب للعاملة الاجتماعية بمقابلتي. فساعدتني في الحصول على عمل. وما هي الا ايام معدودة حتى ابتدأت عملي، وكان يقتضي الاعتناء بعجوزين في منزلهما. سكنت معهما واصبحنا اشبه بعائلة. لم يكن لديهما اي اقارب. وعندما توفيا تركا لي هذا البيت. احببتهما حب الابنة لوالديها

وبادلاني هذا الحب. وكلما طال بقائي معهما، كلما توطدت علاقاتنا وازدادت الثقة بيننا، فاخبرتهما بكل شيء عن ماضيي. بعد ان عرفا قصتي، قررا معاملتي كابنتهما وليس كخادمة. واصرا على ذلك حتى انهما ارسلاني الى المعهد التجاري حيث تخرجت كسكرتيرة. كنت ابقى في رفقتهما كل ليلة وخلال عطلة الاسبوع، ولم اخرج ابداً رغم اصرارهما علي بالخروج. لكنني شعرت انه من واجبي ان ابقى معهما دائماً، علهما يحتاجان الى شيء. بقائي الدائم في البيت لم يكن يشكل اي عائق بالنسبة لي، اذ كنت سعيدة بحياتي معهما».

توقفت جولييت لتحتسي المزيد من قهوتها وفي نظرتها هدوء وطمأنينة. ثم استمرت قائلة:

«السيد والسيدة مانلي، كان هذا اسمهما. قدما لي ما حرمت منه منذ طفولتي. وذلك الحب والرعاية والعطاء الدائم جعلني استرجع احترامي لنفسي وللآخرين، واخذت اواجه العالم بثقة لم آلفها من قبل».

«لا شك انك قطعت كل اتصال مع حياتك السابقة كاميلي لوزار».

«طبعاً. فمنذ مغادرتي للقرية وانا استعمل اسمي الحقيقي وهويتي الحقيقية. بحيث انه من المستحيل على خالتي وزوجها ان يعلموا بمكان وجودي».

«اسم جديد، حياة جديدة، ووجه جديد. حتى لو جمعك القدر بعائلة خالتك فلن يكون بوسعهم معرفتك».

«لم اعرف نفسي بعد العملية. تغيرت كلياً. فعندما قارنت نفسي بصورتي القديمة كدت افقد وعيي. سآتيك بالصورة حالاً».

واسرعت جولييت الى غرفتها لتعود وفي يدها صورتها وهي في السابعة عشرة. حدقت بها ماغ مقارنة الصورة بصاحبتها وهتفت قائلة:

«غير معقول. يا له من تغيير فظيع فالوجهان يختلفان الى حد بعيد».

«يمكنك القول ان حادث اصطدامي بالباص كان خيراً علي. فبالاضافة الى وجهي الجديد شعرت انني حرة طليقة، بقدرتي ان اواجه خالتي او زوجها او تانيا اي يوم كان، ولن يعلموا من اكون».

«افهم ما تعنين. كان شعرك اسود في هذه الصورة».

«التقطها دورين واعطاني اياها قبل رحيلي».

«اهذا يعني ان دورين يعرفك كاميلي لوزار بالشعر الأسود والوجه القبيح؟».

«تماماً».

تجهم وجه جولييت وبدت عليه القساوة وعادت اليه النظرة الحاقدة المرة. دورين كوراليس... لم يغادر ذهنها منذ ان جمعها القدر ذلك اليوم المشؤوم... كم تكره ذكراه ولا يتملكها الا شعور طاغ بالحقد والاحتقار نحوه كلما ورد على مخيلتها. لا احد يعلم عمق كراهيتها له ورغبتها بالانتقام منه في

اول فرصة سانحة. . . ماذا لو تعرّف على جولييت هاردي الشقراء الساحرة التي احتضنتها عائلة كريمة وجعلت منها انسانة سعيدة مطمئنة وواثقة من نفسها؟ فبعد ان قضت اربع سنوات في رفقتهما، توفيا واحداً بعد الآخر وخرجت جولييت الى المجتمع، اصبح لها صديقات عديدات وباتت حياتها مكتملة من كل النواحي الا الناحية العاطفية، فهي لم تزل تجهل الحب على حقيقته.

لكنها لم تعد المخلوقة الخجولة الطائشة التي اساء دورين فهمها، وحطم حياتها الاجتماعية في قريتها دورست، وشوه سمعتها هناك. كان عمله هذا اشبه برمي النعجة للثعالب الجائعة. وبعد رحيله باتت القرية شبه جحيم بالنسبة اليها. لم يعد لها اي صديق، وفقدت مودة واحترام الجميع حتى السيد غود فري الذي عهدته صديقاً دائماً يكنّ لها المودة.

لن تنسى الذي حصل مهما طال الزمن. فالحقد والضغينة اللذان تحملهما تجاه ذلك الرجل الظالم الذي دمغ علامة العار على وجنتها، البريئة، لن يمحوهما شيء. لا الأيام، ولا السنون، ولا حتى الابدية.

٣ـ الماضي لم ينتهِ . .

«لا افهم لماذا اتخذت عائلة لوزار على عاتقها امر تربيتك؟».

«لم يكن ذلك ناتجاً عن حبهما لي. هذا واضح. لكن خالتي اخبرت بعض الناس في القرية، ان تانيا تحتاج الى رفيقة تلعب معها. فخالتي لم تعد قادرة على انجاب مزيد من الاطفال. وبعد مقتل اهلي في حادثة السيارة، قررت ان انضمامي للعائلة سيخفف من وحدة تانيا».

تنهدت جولييت اذ اعادتها الذكريات الى طفولتها الحزينة. كم من مرة تقبلت اللوم لما فعلته تانيا. وفي مناسبة الاعياد كانت هدايا تانيا تفوق سعراً وعدداً تلك التي تلقّتها هي. حتى ثيابها لم تكن الا تلك الثياب التي ملّت تانيا من ارتدائها، فرمتها

لجولييت. كم من مرة ذكّرتها خالتها ان تشكر القدر لحسن حظها وان تظهر لزوج خالتها الامتنان لانه احتضنها في منزله، وتكلّف عليها الكثير ازاء تربيتها المدرسية. كم من مرة سمعت جولييت هذا اللحن، فان لم تنشده خالتها، فلا بد ان تتولّى تانيا القيام بهذه المهمة. وهكذا مرت عليها الايام وبلغت ربيع عمرها، وحين عبّرت لخالتها عن رغبتها بمتابعة دراستها والالتحاق بالمعهد التجاري، كان الجواب بالنفي. وقالت خالتها ان عليها ان تبقى في المنزل للقيام بامور التنظيف والترتيب وغيرها. احست جولييت برغبة جامحة لزيارة قريتها دورست. مضى على غيابها ثماني سنوات. لا بد ان القرية تغيرت كثيراً. ترى ماذا حصل لعائلة لوزار؟

هل تزوج دورين تانيا؟ امر ممكن، لكن جولييت لا تعتقد ذلك. فكما قالت لماغ، من المعروف عن الرجال اليونانيين انهم لا يتزوجون من يعشقون.

سألت ماغ:

«كم عمر دورين كوراليس؟».

فأجابت جولييت:

«اربعة وثلاثون. كان في السادسة والعشرين من عمره عندما زارنا في قرية دورست».

«ما زال شاباً اذن. كنت اعتقد انه اكبر سناً من ذلك».

«كان ناضجاً بالنسبة لعمره دون شك. فهو خاض الحياة الاجتماعية في سن باكرة. تعرّف على نساء عديدات. لا بدّ انه

بلغ حد الملل الآن، او ربما استقر ضمن حياة زوجية برفقة امرأة انجبت له دزينة اطفال».

وراحا يضحكان معاً لهذه الفكرة. ثم اضافت جولييت:

«دورين من النوع الذي يمل حياة مستقرة كهذه، فلا شك انه وجد لنفسه عشيقة تملأ اوقات فراغه وتضيف عنصراً من الاثارة الى حياته الزوجية الرتيبة».

نظرت اليها ماغ نظرة تساؤل وقالت:

«كيف احببت شخصاً كهذا؟».

«كان عندئذ بالنسبة لي اشبه بأمير احلامي. شغفت بمظهره الخارجي ولم اهتم بمعرفة اخلاقه وطباعه».

«أستكرهينه الى الأبد؟».

«نعم وان اتيحت لي الفرصة يوماً، لن اتردد في تحطيمه وجعل حياته جحيماً طالما هو على قيد الحياة».

«جولييت كيف تقدرين على عمل شنيع كهذا، وانت الفتاة الرقيقة اللطيفة التي عرفتها طيلة هذه المدة؟».

«لا تجزعي، فشعوري نحو دورين طبيعي جداً، خاصة بعد ما سببه لي».

«اذن علي ان آمل ألاّ يجمعكما القدر من جديد ابداً».

«لا اعتقد ان ذلك ممكن، فهو يعيش في اليونان وانا هنا».

«رغم رغبتي الاّ تصادفا بعضكما من جديد، فلا بد ان اللقاء به سيكون بمثابة نقطة تحوّل خطيرة في حياتك».

«صحيح».

«هناك صوتك طبعاً. العنصر الوحيد الذي يصلك بالماضي، لكنه لن يعرفك من خلال صوتك فهذا امر مستحيل».

«خاصة بعد ثماني سنوات. اعتقد ان صوتي تغيّر نوعاً ما، لكن حتى لو لم يتغير فدورين لن يذكر نبرته... فهو نادراً ما ازعج نفسه بالحديث الى تلك الخادمة القبيحة. كان اهتمامه مركزاً على تانيا الحسناء الفاتنة».

«هل كانت عائلة لوزار ثرية؟».

«كانت اغنى عائلة في منطقة هافينغتون. لكن دورين كان يفوقهم ثراءً... ماغ ما رأيك بمرافقتي لزيارة قرية دورست؟ لا ادري لماذا ينتابني شوق عارم بالعودة الى حيث نشأت. لمجرد الاطلاع على التغيير الذي طرأ على المنطقة خلال السنوات الماضية».

«بكل سرور».

كانت قرية دورست قبل اعوام قرية منعزلة شبه منطوية على ذاتها، وها هي الآن منطقة متمدنة، بلغتها يد التقدم والتطور وطبعتها بطابعها الخاص ازداد عدد المباني وافترقت الطرقات الجديدة معظم الحدائق.

قالت ماغ عند وصولهما الى القرية:

«دورست لا تبدو لي تلك القرية النائمة التي وصفتها».

فاجابت جولييت:

«هنالك كانت مزرعة السيد غودفري. باتت الآن ورشة

بناء. ترى ماذا حل به؟».

«ربما تقاعد عن العمل، ويسكن الآن منزلاً يتنعم فيه بالمال الذي تقاضاه من بيع أراضيه».

عندما وصلت جولييت في سيارتها الى مركز البريد، توقفت وقالت:

«تغيّر مركز البريد قليلاً. هناك غرفة اضافية في الجهة الخلفية من المبنى. اعتقد ان السيدة بوترتون غادرت عملها هنا. هيا بنا الى الداخل لنرى».

كانت جولييت على صواب، فعند دخولها القاعة استقبلها رجل غريب لم تقابله من قبل فسألته:

«هل تقاعدت السيدة بوترتون عن العمل؟».

«توفيت السيدة بوترتون منذ خمس سنين».

«آه... آسفة».

ودفعهما هذا للخروج، دون ان تطرحا اسئلة اخرى.

جففت جولييت دمعتها قائلة:

«كانت السيدة بوترتون لطيفة جداً وعاملتني معاملة حسنة».

«ربما كان من الافضل ألاّ تأتي الى هنا من جديد».

«قبل ان نعود الى البيت، اريد ان القي نظرة على منزل خالتي. من المستحسن ان نذهب سيراً على الاقدام، فهو لا يبعد الا مسافة قصيرة. يقع وراء الغابة هذه».

الغابة... حيث الشلال... حيث، لأول مرة في حياتها، كانت مع رجل احبّته لكنه احتقرها.

وعندما اقتربا من المنزل صاحت جولييت بصوت يطغى عليه التعجب:

«لم تكن هذه المنازل هِنا من قبل. انها تستهلك معظم الاراضي التي كان يملكها زوج خالتي».

«أتعنين انه ربما باعها لشركة بناء؟».

«هذا ما يجعلني اتساءل. فهو كان دائماً يصر على الاحتفاظ بها لانه مولع بالمناظر الخلابة التي تحيط بالمنزل. ولم يكن يحبّذ فكرة اي بناء آخر يقوم على اراضيه».

«صحيح. لقد شوّهوا المنظر تماماً».

«لا شك ان ذلك سبّب له تعاسة كبرى. كان متعلقاً بممتلكاته واراضيه الى حد بعيد، وحريصاً على الاحتفاظ بالمناظر الرائعة المحيطة بمنزله، وخاصة منظر البحيرة التي تواجه التل».

قالت ماغ والابتسامة تعلو وجهها:

«بات منزله الآن محاطاً بالابنية الجديدة. يبدو انه مشروع بناء حكومي».

ثم اضافت:

«لقد اخذ القدر بثأرك ونالت خالتك وزوجها وابنتها ما يستحقون. لو كنت مكانك لرقصت من الفرح».

«لا، لن ارقص من الفرح. لكنني لا اشعر بالشفقة عليهم مطلقاً. ترى هل ما زالوا يقيمون هنا؟... ماغ، انظري، ها هو السيد غودفري يقترب ناحيتنا».

«المزارع؟ هيا بادريه بالحديث. اني في شوق لمعرفة ما حصل».

وعندما اقترب السيد غوفري واجهته جوليت بابتسامة على وجهها وقالت:

«المعذرة. اود ان اعلم من فضلك أما تزال عائلة لوزار تعيش هنا؟».

لم يبد على السيد غوفري انه يعرف من يخاطبه فاجاب:

«طبعاً، هل بودّك زيارتهم؟».

«ليس اليوم بالذات... لا شك ان القرية تغيّرت كثيراً منذ كنت هنا آخر مرة».

«ومتى كان ذلك؟».

«آه... منذ اعوام عديدة».

«المعروف ان هذه القرية ستتغير كلياً. فهنالك مشروع بناء ضخم. انا مثلاً كنت املك مزرعة كبيرة، اضطررت الى بيعها لشركة التعمير التي تستثمر اموالها هنا».

«فكرة قرية جديدة لن تروق لعائلة لوزار. فربما سيفكرون في البيع ايضاً».

«لقد حاولوا ذلك لكن دون جدوى. اذ يقع منزلهم على التلة ولا احد يرغب هذا الموقع. كانت قيمة المنزل في الاراضي التي تحيطه، لكن منذ مصادرة الاراضي واستهلاكها للبناء وشق الطرقات، فقد المنزل قيمته التجارية. امر احزن عائلة لوزار، خاصة السيد لوزار اذ خاب امله وبدت عليه الشيخوخة

المبكرة. لكن لا بد انك تعلمين ذلك؟».

«لم اعلم انهم يعانون من محنة مادية. كانوا من اغنى سكان هذه القرية».

«صحيح، كانوا فعلاً اثرياء، لكن السيد لوزار خسر معظم أمواله بعد ان استثمرها في مشاريع فاشلة. حاول مراراً بيع منزله لكنه لم يلق اي عرض للشراء».

«كانت لهم ابنة...».

«تانيا... تزوجت منذ اعوام لكنها طلقت زوجها وعادت لتعيش مع اهلها».

«اتى رجل يوناني الى هنا منذ ثماني سنوات تقريباً. وكان ضيفاً في منزلهم...».

«اذكر ذلك. كانت تانيا تأمل ان يتزوجها لكن نواياه لم تكن جدّية. كان ساعياً وراء التسلية فقط. على اي حال، لم تقولي لي بعد متى كنت في دورست من قبل. هل تعرفت على قريبة لهم تدعى اميلي؟» ضغطت جولييت على يد ماغ بارتباك، اذ تضاعفت دقات قلبها لتطرق السيد غودفري الى هذا الموضوع، لكنها نجحت بالمحافظة على هدوئها واجابت:

«نعم».

«كانت فتاة لطيفة اليس كذلك؟».

«نعم... لكنها كانت قبيحة المظهر».

«ربما. لكن المظهر الخارجي ليس مهماً».

سألته ماغ:

«أتعني ان ما في داخل الانسان هو المهم؟».
فأومأ السيد غودفري رأسه واجاب:
«اميلي. . . طلبت منا ان ندعوها جولييت اسمها الاصلي. غادرت جولييت هذه القرية يوماً، ولم نسمع عنها شيئاً منذ ذلك الحين».
«لكن ما كان سبب هجرها هذه القرية؟».
تردد السيد غودفري قليلاً ثم اجاب:
«من الافضل الا نتحدث في هذا الموضوع».
كادت جولييت تبوح للسيد غودفري بهويتها، لكن شيئاً ما منعها عن ذلك. . . ولازمت الصمت. بعد دقائق قليلة تبادلوا التحية وعادت جولييت وماغ ادراجهما الى السيارة.
«لم يعرفك السيد غوفري رغم علامات الاستفهام التي بدت في عينيه».
«اعتقد ان صوتي بدا اليفاً لديه. ربما توصل يوماً الى وضع النقاط على الحروف».
«وما هو شعورك تجاه ما حصل لعائلة خالتك؟».
«الحقيقة لا اشعر بشيء. اذ اصبحوا بالنسبة الي اشبه باشخاص آخرين لا تجمعني بهم اية صلة».
«لو كنت في مكانك لكان اليوم اسعد يوم في حياتي».
«لو حصل ذلك لدورين كوراليس لشعرت عندئذ بفرح لا يوصف، فهو يستحق مصيبة كهذه».
وبدت في عيني جولييت شرارة قاسية واضافت:

«لا . . . مصيبة كهذه لن تكفي لارضاء رغبتي بالانتقام منه. اود رؤيته ينازع المًا».

«تتكلمين وكأنما لو اتيحت لك الفرصة، لن تترددي لحظة عن اخضاعه لتعذيب مرير».

«صحيح. لوسنحت لي الفرصة لن اتركها تفلت من يدي، قبل ان ألحق به عذاباً والماً يلتهمان روحه وجسده معاً».

٤ـ هل تأتين معي؟

اقترب فصل الربيع. كانت جولييت قد انهت عملها في الحديقة عندما وصلت ماغ الى المنزل. حيّت صديقتها ودخلتا معاً قاعة الجلوس. باشرت ماغ صديقتها بالحديث قائلة:

«اعلنت شركة عرض الازياء حيث اعمل انها ستعقد حفلة العشاء السنوية في فندق فينيسيا. تعلمين انه افخم فندق في لندن. يبدو ان شركتنا ستندمج مع شركة اخرى، واننا سنتولى عرض ازياء في منتهى الاناقة والذوق».

«تعنين انكم بلغتم الدرجة الاولى في حقل الازياء؟».

«نعم. سنقتصر على عرض الازياء التي تليق بالطبقة الثرية فقط».

«لا بد ان الشركة المعنيّة من اشهر واغنى شركات الازياء».

«أكيد. والعارضات اللواتي يشتغلن فيها يتقاضين معاشات مرتفعة جداً، بالاضافة الى الرحلات العديدة التي يقمن بها حول العالم، لترويج آخر الابتكارات الحديثة في عالم الازياء».

واقتربت ماغ من جولييت وفي يدها بطاقة دعوى لحضور الحفلة وقالت:

«موعد الحفلة في الثاني من نيسان. لديك ما يكفي من الوقت لايجاد ثوب يليق بالمناسبة».

«فندق فينيسيا... سيسعدني جداً حضور الحفلة».

ارتدت جولييت فستاناً اخضر اللون ينسدل على قامتها النحيلة الرشيقة كاشفاً عن بشرتها الناصعة ورقبتها الطويلة بشكل آثر. كان شعرها الاشقر الذهبي يتدلى فوق ظهرها بخفة وسحر. بدت مثال الجمال والانوثة. وعندما دخلت قاعة الرقص برفقة ماغ التفتت اليها الانظار باعجاب شديد. ومن بين الحاضرين وقع نظر جولييت على شاب اسمر وسيم كان يتأملها بامعان. ولدى رؤيته شعرت جولييت بقلبها يهبط وتجمّد الدم في عروقها...«مستحيل» قالت لنفسها، ولم تصدق عينيها... لكنها الحقيقة. فالشخص الذي تحدق به هو دورين... دورين كوراليس.

اقتربت منها ماغ وسألت بقلق:

«جولييت ما بالك؟ تبدين شاحبة وكأنك رأيت شبحاً».

كان دورين ما زال يتفحصها بنظراته... استدارت

جولييت نحو ماغ شاعرة بجسدها يرتعش، راغبة لو تهرب من امَام هذا الرجل الذي تكرهه كراهية تسمّ بدنها. ولاحظت ماغ نظرات الاعجاب التي يرمقها بها دورين فقالت لجولييت:

«هناك شاب أسمر وسيم عاجز عن تحويل نظراته عنك».

دورين كوراليس... ماذا يفعل هنا؟ شعرت جولييت بنظراته تغلّف جسمها ورغبت بالفرار. فقالت لماغ:

«علي ان اذهب الى غرفة الاستراحة».

وذهبتا معاً. جلست جولييت محاولة تخفيف اضطرابها وتهدئة اعصابها المتوترة... بينما انهمكت ماغ في تِحسين مظهرها مما اسعد جولييت اذ كانت في حالة ارتباك وحيرة لا ترغب بالاجابة على اي سؤال يجول في ذهن ماغ. سرّحت شعرها ووضعت آخر لمسات التجميل على وجهها، ثم خرجت برفقة ماغ للتوجه الى قاعة الرقص من جديد. كان دورين في انتظارها. اقترب منها ودعاها للرقص. وكانت جولييت قد استعادت سيطرتها على نفسها فقبلت دعوته بهدوء. توجّها معاً الى حلبة الرقص. وأخذها دورين بين ذراعيه محدقاً في عينيها والابتسامة تعلو وجهه الوسيم. لم يزل يحتفظ بجاذبيته رغم ظهور بعض الشعر الابيض على رأسه، اذ اضاف ذلك الى مظهره سحراً غامضاً ورجولة ناضجة.

«ما اسمك؟».

«لماذا، تهمك معرفة اسمي؟».

«مجرد سؤال لا غير».

«لست معتادة على البوح باسمي لرجل غريب».
ضحك دورين واجاب:
«تحاولين اظهار نضوج مبكر يا صغيرتي».
«صغيرة؟ مضى وقت طويل مذ كنت صغيرة».
«كم عمرك اذن؟».
بدا صوته آمراً، مسيطراً، مستبداً، وكأنه واثق من تلقّي الجواب على سؤاله. رفعت جولييت رأسها نحوه بطريقة توحي بالتمرد... وقالت:
«ليس من عادتي البوح بعمري لشخص غريب».
ضحك دورين وكأنه يجد الامر مسلّياً. اخذ جولييت بيدها وتوجه بها الى قاعة للجلوس منزوية، شاعرية الجو والطراز. اصطحبها الى مقعد ودعاها للجلوس قائلاً:
«سنجلس هنا يا عزيزتي ونتحدث. تفضلي بالجلوس اولاً ثم خبّريني عن نفسك».
نظرت اليه جولييت تتمعن في عينيه السوداوين. كانت هناك ايام تمنت فيها لو تنظر اليها هاتان العينان نظرة حنان ومودة. وهنا هي الآن تكتشف في اعماقهما اعجاباً شديداً بها، وظل رغبة طاغية. لم يتغير دورين بعد كل هذه السنين، فهو لم يزل مستعداً لخوض مغامرة عاطفية مع اي حسناء يروقه جمالها. ترى هل باستطاعتها ان تستعين بهذه الرغبة لتحقق امنيتها المنشودة؟ هل حان لها ان تنتقم؟
قالت له:

«اجدك وقحاً شديد الثقة بنفسك».
ارتفع حاجبا دورين معبّراً عن انزعاجه لما سمع.
«هل بودك ان تشرحي لي ما تعنين بذلك؟».
«تصرّفك تجاهي مثلاً. التقينا منذ دقائق معدودة وها انت تصطحبني الى قاعة منزوية، ترغمني على الجلوس طالباً ان تسمع قصة حياتي».
«لكنك لم تعترضي لاحضارك الى هنا».
«حسناً. ها انا أعترض الآن».
«اعتراضك مرفوض. فأنت الآن برفقتي. ليس في القاعة سوانا. واصبحت تحت سيطرتي. فلا مفر لك من ذلك».
فشلت جولييت في اخفاء ابتسامة ظهرت على شفتيها. فجلست تحدق به. لقد جمعهما القدر من جديد. وها هي نار الانتقام تتأجج في داخلها وشعور الحقد تجاهه اصبح جزءاً من الحاضر، حقيقة واقعة لم يعد مدفوناً في ماضيها، ذلك الماضي الذي لم تكن تنتظر ان يحيا من جديد.
«قل لي. ماذا يدور في ذهنك هذه اللحظة؟».
«اخشى لو قلت لك الحقيقة ان اتلقى صفعة على وجهي».
احمرَّ وجه جولييت اذ ادركت معنى كلامه. ففضلت ان تغير الموضوع:
«هل انت ايطالي؟».
«لا. يوناني من جزيرة زاسوس. اسمي دورين كوراليس».
ثم توقف قليلاً منتظراً من جولييت ان تبادله التعارف، لكنها

اصرت على الصمت فقال:

«لماذا تصرين على كتمان اسمك؟».

اصبح صوته ناعماً متوسلاً فقالت:

«جولييت هاردي».

ونظرت اليه بامعان خشية ان يكون اسمها اليفاً لديه، لكنه لم يظهر اية اشارة تدلّ على ذلك بل قال بصوت ناعم دافىء:

«جولييت... اسم ساحر. تماماً مثل صاحبته».

وعلت ثغره ابتسامة ساحرة ايقظت في اعماق جولييت شعوراً قديماً غمر كيانها، نفس الشعور الذي اكتنفها حين ادركت لاول مرة في حياتها انها تحب رجلاً. تحب دورين كوراليس. كم أحبّته! كم عشقت عينيه، ابتسامته، صوته...

«جولييت! أخبريني المزيد عن نفسك».

«هل من عادتك التحقيق في حياة كل امرأة تتعرف عليها؟».

«لم لا؟ هذا دليل على اهتمامي الشخصي بالمرأة المعنيّة».

«وهل انت مهتم بي؟».

«انت أول امرأة تثير اهتمامي بهذه الدرجة».

شعرت جولييت بنشوة الانتصار. وجدت ان الفرصة لتحقيق رغبتها اوشكت ان تسنح.

«شكراً على هذا الاطراء سيد...».

«ناديني دورين. اريد سماع اسمي من شفتيك

العسليتين».

ترددت جولييت قليلاً وتملكها الخجل، لكنها نجحت في اخفاء ارتباكها وقالت بنعومة:

«دورين».

«جميل. صوتك دافىء وله رنة موسيقية مغرية».

وخيم الصمت بينهما لحظات طويلة. أستلقى دورين على مقعده واغمض عينيه ليركز على الالحان الموسيقية العذبة التي كان غارقاً في الاصغاء اليها. بينما كانت جولييت تتأمل وجهه الجذاب ولونه الاسمر، متذكرة كم كانت تود في الماضي ان تفوز باهتمامه... وكم من ليلة قضتها تبكي منادية اسمه، راجية لو يبادلها الحب كما تبادله هي. فتح دورين عينيه من جديد وكأنه عاد من بحر افكاره وقال بصوت جاد كأنه تذكر امراً مهماً يريد اطلاعها عليه:

«انها مشيئة القدر ان يجمعنا الليلة. لم اتوقع لحظة واحدة ان اقابل حسناء جميلة ومثيرة مثلك. فوجودي هنا يتعلق بمشروع عمل. انني واثق من اننا سنرى بعضنا كثيراً في المستقبل».

«وما الذي يجعلك تعتقد انني سأوافق على ذلك؟».

«ايماني بالقدر».

القدر... جمعهما القدر لكي يتيح لها ان تنال ثأرها منه، بينما يظن هو انه وجد امرأة جديدة تملأ اوقات فراغه بوجودها، وتخفف من وحشته، أو تضيف رقماً جديداً الى عدد النساء في سجلّ شبابه.

«قلت انك هنا بخصوص عمل. هل جئت من اليونان لهذا السبب فقط؟».

اومأ دورين برأسه واخبر جولييت ان والده يترأس شركة عرض الازياء التي اخبرتها عنها ماغ.

«لكنني كنت اظن ان والدك يعمل في حقل التجارة البحرية».

وكادت جولييت تعض على شفتها وقد ادركت غلطتها. نظر اليها دورين بتعجب وقال:

«وكيف تعلمين ذلك؟».

«آه. . . لا ادري بالضبط. ربما سمعت ذلك من حديث ماغ لبعض زملائها في الشركة».

ومرت بضع دقائق، وجولييت تحاول ان تدرس تعابير وجهه، علّها تكوّن فكرة عمّا يجول في ذهنه. . .

لكن وجهه احتفظ بجموده المعتاد. ثم قال اخيراً:

«تعالي نرقص».

أخذا يرقصان على انغام موسيقى عاطفية هادئة، ودفن دورين رأسه في شعرها الذهبي هامساً في اذنها:

«يا ساحرتي».

وعندما توقفت الموسيقى اعتذرت منه جولييت، اذ لمحت ماغ من بعيد، فذهبت لتنضم اليها.

«يبدو انه مهتم بك جداً».

«اشك في ذلك».

ضحكت ماغ واجابت:

«تواضعك ليس في محله. حان الوقت لتدركي قوتك في السيطرة على الرجال وتأثيرك عليهم».

وضحكتا معاً. ثم قالت جولييت:

«هذا الرجل هو: دورين كوراليس».

«ماذا؟... مستحيل... دورين كوراليس؟».

«نعم. الرجل الذي كان سبب لوعتي وظلمي».

واتجهتا الى البار حيث أتاهما الخادم بالشراب المطلوب. تذكرت جولييت انها نسيت محفظة النقود في معطفها، فقالت:

«ماغ. تركت محفظة النقود في المعطف».

«اسمحي لي بتسديد الحساب».

كان ذلك دورين الذي سمع ما قالته وهو يقترب منهما. قالت معترضة:

«يمكن لماغ ان تدفع...».

لكن دورين كان أسرع. رمقته ماغ بنظرة فاحصة، ولم تكن تبالي بتصرفه الكريم. ثم قالت له من باب التهذيب:

«شكراً...».

«لا حاجة للشكر...».

قضيا السهرة معاً. لم يترك دورين جولييت وحدها حتى لحظة واحدة. اخذ على عاتقه أمر تنسيق السهرة وفقاً لارادته. واستجابت جولييت لطلباته، اذ ادركت انه فعلاً يهتم بها، وان علاقاتها سوف تتخطى حدود المعرفة الى ان تنال حبه. وربما اذا

بلغ حبه حداً عميقاً وجدياً من يدري. . . فيريدها زوجة له. . . الزواج؟. . . نعم فمتى اصبحت زوجته، تكون قد بلغت المكان المناسب لتنفيذ خطتها. . . الخطة التي ستجعلها تدوس على اسمه وكبريائه تحت قدميها. كانت جولييت تتأمل نفسها في المرآة. تستعد للخروج برفقته هذه الليلة ايضاً.

حملت حقيبتها واقتربت من الباب تهم بالخروج حين واجهتها ماغ قائلة:

«تبدين فاتنة. أرجو ان تتمتعي بوقت سعيد. دورين رجل رائع».

«ماغ. . . ما بالك، هل وقعت تحت تأثير سحره؟».

«ومن ينجو من ذلك؟».

«انا. . . لم اعد تلك الفتاة الساذجة الطائشة التي تعرّف بها منذ ثماني سنوات».

«ألا تعرفين معنى الغفران؟».

«لن اغفر ما فعله بي أبداً».

«لكنه مغرم بك».

«دورين لا يعرف معنى الحب ولا قيمته».

«وان طلبك للزواج ستقبلين حتماً. أليس كذلك؟».

«ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك وانا اكرهه من صميم قلبي؟».

«كراهيتك له ستجعلك تقبلين الزواج به».

«صحيح سأتزوجه لسبب واحد. لتعذيبه. سأغتنم فرصة

زواجي به لأعذّبه حتى يصبح حبه لي مصدر ألم وشقاء له. لأنني سأرمي حبه في وجهه».

تجهم وجه ماغ وبدا عليه العبوس وقالت:

«لكنني لم اعهدك قاسية ابداً، ولا اصدق ان بوسعك الاقدام على عمل كهذا».

«ماغ، ربما نسيت ان هذا الرجل أذلّني، احتقرني، وحوّل حياتي الى جحيم. احتاج الى الثأر، انه شعور لا اقوى على صدّه او تجاهله».

«لكنك ستسبّبين الأذى لنفسك ايضاً. لماذا لا تحاولين نسيان هذا الحقد ودورين معاً؟».

«ربما ساضطر الى ذلك. فدورين عائد الى اليونان غداً بعد الظهر».

«حسناً. لعل ذلك افضل حل لكليكما. ما يحيرني هو انه لم يعرض عليك الزواج بعد».

«لا تحتاري. دورين معتاد على نيل ما يرغب دون اللجوء الى الزواج».

«ربما، لكنه لم يفلح في محاولته هذه المرة. خاصة انه سيغادر غداً».

«صحيح. لقد حاول مراراً لكنني صددته كل مرة».

«لقد قضيتما وقتاً ممتعاً كما استنتجت من حديثك السابق».

«نعم. كان يريد ان يشتري لي عقداً ماسياً لكنني رفضت».

«مجنونة. كان عليك القبول. فذلك يعوّض شيئاً من الألم

الذي سبّبه لك في الماضي».

«لا شيء يعوّض عليّ ذلك».

«اوافق ان ما فعله يدلّ على انه رجل بغيض، لكنني اشفق عليه لأنني اعلم انه يحبك».

لم تجب جولييت. بل ألقت نظرة على ساعتها وقالت:

«تأخر الليلة».

وفكّرت: ربما لن يأتي. اغاظها انه لم يعرض عليها الزواج بعد. لقد مضى اسبوع بكامله وهما يخرجان معاً كل ليلة. ربما شعوره نحوها ليس عميقاً الى الحد الذي يجعله يفكر بالزواج، وتصرّفها نحوه ليلة امس ربما أغضبه حين وضعت حداً لمغازلاته المتتالية، طالبة منه ببرودة تامة ان يتوقف، لأن الوقت متأخر وعليها ان تعود الى البيت.

قالت ماغ:

«سيأتي دون شك».

ثم اضافت:

«صدقيني، انه يحبك».

«اعلم ان شعوره نحوي اكثر من مجرد افتتان عابر لكنه يصرّ على الاحتفاظ باستقلاله وحريته».

كانت جولييت على صواب. اذ مضت السهرة على ما يرام. تناولا طعام العشاء في مطعم فاخر. واظهر دورين حبه وتعلقه بها، لكنه لم يتطرق الى موضوع الزواج ابداً.

وخلال نزهتهما في الحديقة اخذها دورين جانباً وقال:

«جولييت تعالي معي الى جزيرتي غداً. سأهبك جميع ما ترغبه نفسك، منزلاً مستقلاً، خدماً، جواهر وافخر الملبوسات».

«فكرة لا بأس بها، لكنها لا تليق بفتاة مثلي».

«أتعنين انك من الطراز القديم المتحفظ؟».

«ألم تدرك ذلك بعد؟».

جذبها اليه بشدة.

«لكنني اريدك بكل جوارحي... نفسي تتوق اليك... عليك ان تأتي معي».

«آتي معك كزوجتك فقط».

«لكنني لا أصلح للزواج. انها فكرة لا تلائمني ابداً».

«الا ترغب في الاستقرار ذات يوم؟».

«حريتي مهمة لديّ... جولييت قولي انك ستأتين معي غداً الى اليونان».

تنهدت جولييت مستسلمة لفشلها في تنفيذ نواياها، وادركت ان محاولتها لم تنجح ولم يبق امامها الآن سوى الوداع فلن تراه بعد اليوم. استطرد دورين قائلاً:

«قلت لك من قبل أنني أؤمن بالقدر. اظن اننا سنلتقي مرة اخرى».

«لقاء آخر سيكون صعباً جداً، الا اذا اردت ان تتزوجني طبعاً».

«وهل تقبلين بي زوجاً لك؟».

«أنت اعرف بالجواب».

وخيم الصمت. يبدو ان دورين يشك في اخلاص جولييت وصراحتها. وفي الوقت نفسه، كانت مشاعر جولييت نحوه تخضع لتحولات غير متوقعة تجهل هي طبيعتها. قال دورين بصوت خافت:

«اذن تقبلين ان تصبحي زوجتي وليس غير ذلك».

«لو قبلت ان اصبح غير ذلك فسوف افقد اعتبارك لي واحترامك».

قطب جبينه وقال:

«لم اكن اتوقع جواباً كهذا وخاصة منك».

«لم لا؟ أتعتبرني خجولة الى حد يمنعني من التفوه بجملة كهذه؟».

«لا اعتبرك خجولة بل رزينة».

«لندع هذا الموضوع جانباً اذن. قل لي، هل حصل ان عشقت امرأة انكليزية من قبل؟».

«واحدة او اثنتين».

«من لندن؟».

«واحدة كانت تعيش في قرية صغيرة تدعى دورست».

«قروية؟ وماذا كنت تفعل في القرية؟».

«كنت ضيفاً في منزل والديها».

كانت جولييت تعلم ان دورين لن يبوح بهوية تانيا وقد بلغ حدود حديثه عن الموضوع، فحاولت بدقة اختيار كلماتها

للسؤال التالي:

«وهل كان والداها من اصدقائك؟».

«من معارفي فقط».

«أكان لديهم اولاد آخرون؟».

«كانت تعيش معهم فتاة قريبة لهم».

ارادت جولييت ان تستفهم منه عن هذه القريبة، فسألته عنها... أجاب بغضب:

«كانت طائشة وقبيحة المظهر. ولماذا تهتمين بأناس لن تقابليهم ابداً؟».

«حان الوقت لعودتي الى المنزل. فماغ تعجز عن النوم اذا لم اكن في البيت».

«لا استطيع ان اتركك ترحلين».

جذبها نحوه بقوة، دافناً رأسه في شعرها... كان قد أطلق العنان لعاطفته فجأة. اذ لم يعد يقوى على كبت مشاعره. ارادها له بكل ما في كيانه من رغبة وشوق.

«جولييت أريد منك جواباً نهائياً. آمرك باجابتي».

شعرت جولييت بقوته، بسيطرته، بعنفوانه وارادته الصلبة. كانت يداه تضغطان عليها بشدة معبّرتين عن شوقه الجامح لامتلاكها. تفجرت طبيعته اليونانية التي تثير مشاعر معظم النساء الا جولييت، فهي ما زالت تحتفظ بهدوئها وثباتها.

«تعالي معي غداً...».

قالت بصوت هادىء:

«علي ان اذهب الى الداخل الآن. فالوقت بات متأخراً».

وفتحت باب السيارة. نزل دورين ورافقها الى باب المنزل وخيبة الامل بادية على وجهه.

«جوليت ليس عدلاً ان نفترق بهذا الشكل».

«وداعاً دورين».

وابتعدت عنه متوجهة الى الداخل، واغلقت الباب وراءها من دون ان تنظر اليه من جديد. سمعت صوت سيارته تبتعد وانتابها شعور بالفشل. لم تفلح في اختراق جدار ارادته الصلبة، ولم تجعله يتخلّى عن استقلاله. خسرت لعبة القدر.

٥ـ الى جزيرة الثأر

دخلت ماغ البيت وفي يدها رسالة لجولييت:

«رسالة لك من مدير شركتنا. يبدو انهم يبحثون عن المزيد من عارضات الازياء. وقد وقع نظر المدير عليك خلال الحفلة السنوية...».

قاطعت جولييت حديث ماغ غير مصدّقة:

«عارضة ازياء؟».

«هيا اقرأي الرسالة».

وقرأت جولييت الرسالة وعندما انتهت هتفت ماغ:

«انها فرصة العمر. ما رأيك؟».

«عليّ ان احضر مقابلة مع المدير غداً في الساعة الخامسة

والنصف».

«يا لك من سعيدة الحظ. ستتولى الشركة امر تدريبك على العمل كعارضة ازياء، بالاضافة الى الفرص التي ستتوفر امامك للسفر الى الخارج».

لم تجب جولييت. كانت تتساءل عما اذا كان هذا العرض من عمل دورين. وكلما فكرت في ذلك كلما اشتدت ثقتها بانها على صواب.

ذهبت في اليوم التالي الى المكتب لتقابل المدير.

«اهلا آنسة هاردي. تفضلي بالجلوس».

«شكراً».

جلست جولييت تتأمل ارجاء الغرفة المفروشة بالتحف الثمينة ثم قالت:

«كانت رسالتك مفاجأة كبيرة».

«هذا ما ظننت».

تردد المدير لحظة قصيرة ثم استطرد قائلاً:

«تحتاج شركتنا الى عارضات ازياء يتحلين بقدر كبير من الجمال. فمنذ اندماج شركتنا مع شركة اخرى مشهورة، وجدنا ان علينا اختيار اجمل الفتيات للقيام بعرض ازياء تفوق الى حد بعيد ما كنا ننتجه من قبل. وكما ذكرت لك في رسالتي، سيتطلب منك السفر الى الخارج».

«والى اين سيتطلب مني السفر أولاً؟».

«الى اليونان».

«والى أي منطقة في اليونان؟».

«زاسوس. جزيرة رائعة تتحلى بآثار قديمة اخترناها كخلفية لبعض الابتكارات الجديدة التي نفكر بترويجها في اوروبا».

«زاسوس... هل عرضت علي هذا العمل وفقاً لطلب السيد كوراليس؟».

تردّد قليلاً... ثم اجاب:

«نعم... لكن القرار الأخير يعود اليك. فلست مرغمة على القبول».

التقطت جولييت حقيبتها وهمّت بالرحيل:

«أقبل بالوظيفة».

وفي خلال اسبوعين كانت في طريقها الى اليونان، حيث اتى دورين لاستقبالها في المطار. اقترب منها والابتسامة مشرقة على وجهه:

«ها نحن نلتقي من جديد. جولييت حبيبتي».

«جئت هنا لأتلقى تدريباً في عرض الازياء. اعلمني المدير انك ستتدبّر امر هذه المهمة».

ضحك دورين واجاب:

«كما تشائين. يسعدني جداً انك وافقت على المجيء».

واخذَ بذراعها متابعاً قوله:

«سنجتاز البحر الى زاسوس على المركب».

وفي طريقهما الى زاسوس شرع دورين يصف لجولييت جمال الجزيرة واهميتها التاريخية والاقتصادية.

«تجدين في زاسوس غابات كثيفة، وجداول مياهها غزيرة ونقية بالاضافة الى الشواطىء العديدة، والتلال المكسوة باشجار الصنوبر والمناظر الخلابة. يمكنك رؤ ية جبل زراس من خلال النافذة في منزلي.

سيعجبك المنزل دون شك يا جولييت».

«منزلك؟ اعتقدت انني سامكث في الفندق؟».

«لم اجد لك اية غرفة في الفندق فجميعها مشغولة. ستكونين ضيفة في منزلي».

لم تعترض جولييت. كانت تعلم ان اعتراضها لن يغير الوضع. ستمكث في قلعته مهما كانت ارادتها. فهي وافقت على المجيء الى زاسوس آملة ان تنجح في تحقيق خطتها هذه المرة. اظهر دورين انه لم يزل مهتماً بها، فربما سيخضع لقلبه وعواطفه ويتخلى عن حريته لأجل الحصول عليها.

«جولييت. أتسمحين لي بالاعتناء بك كما اشاء؟».

«جئت الى هنا لاعمل».

«يا لك من انسانة قاسية! كوني واثقة اني سأنهال عليك بالضرب حال وصولي الى المنزل لعل ذلك يكون درساً مفيداً لتحطيم ارادتك الصلبة».

حذرته قائلة:

«سأعود الى لندن حالاً».

بينما انفجر يضحك بملء صوته.

«سنقضي وقتاً ممتعاً... سترين».

أدارت جولييت رأسها لتتأمل جمال الطبيعة من حولها. الجبال والبحر والتلال واشجار الصنوبر والسرو والزيتون سحرتها بروعتها، وملأت عينيها جمالاً وفتنة.

هتفت جولييت في الطريق الى المنزل:

«جزيرة رائعة الجمال».

ثم اضافت:

«لا شك انك سعيد للعيش هنا باستمرار».

«ستكونين انت ايضاً سعيدة».

«جئت بمهمة عمل ولن يدوم ذلك الى الأبد، فعندما انتهي سأعود الى لندن».

«جولييت. لا اعلم ما تطلبين مني. انتظري حتى نصل البيت، عندئذ سأعاملك بطريقة مختلفة».

«وماذا استنتج من حديثك؟».

«انني سأجبرك على طاعتي».

نظرت اليه جولييت من طرف عينها لتجد على وجهه تعبيراً هو مزيج من من القسوة والسلطة. حملتها ذكرياتها الى الماضي حين كادت تحبه. كم كان حبها له مفعماً بأرق وانقى العواطف. كانت مستعدة لو اراد، ان تعطيه روحها وكل ما في كيانها من حب وتضحية. ها هو الآن عاجز حتى عن اثارة اعجابها. فكما قالت ماغ لقد تولى القدر امر معاقبة عائلة خالتها ولم يبق سوى دورين فهو لم ينل بعد ما يستحق. ها هي الفرصة تسنح امامها من جديد لتحاول انجاز خطتها بالانتقام منه.

كانت الشمس ترسل خيوطها الذهبية في كل مكان، وفي الهواء عطر الفاكهة الناضجة. واخيراً وصلا الطريق التي تؤدي الى المنزل. عندما ظهر البيت من وراء الاشجار، هتفت جولييت معبّرة عن تقديرها لجمال وضخامة المبنى.

«أيعجبك؟ اعتبريه منزلك متى شئت».

«لا تقل ذلك. أمن عادتك دعوة كل امرأة تتعرف بها للمكوث في منزلك؟».

«من يسمعك يعتقد انني احببت نساء عديدات».

«أليس هذا صحيحاً؟».

لم يجب. علمت جولييت انها اثارت غضبه لكنها لم تبال.

«تفضلي الى الداخل. اهلاً بك في ماساليا، الاسم الذي أطلقته على منزلي».

دخلت جولييت هو يتبعها. راحت تتأمل المفروشات الفخمة التي تدل على ذوق رفيع. ولاحظت التحف القديمة الثمينة. واصطحبها دورين الى غرفة الجلوس حيث جاء لاستقبالهما خادم المنزل قائلاً:

«المعذرة. لم اعلم بقدومكما. ستأتي أستيرو الى هنا حالاً».

«كلانزس، أقدّم لك الآنسة جولييت. جولييت هذا كلانزس يتولى وزوجته وابنته امر الاعتناء بهذا المنزل.

ها هي استيرو تأتي الآن. انها زوجة كلانزس وها هي كاسبانا ابنتهما».

حيتهم جولييت بلطف وقالت:

«تسعدني مقابلتكم».

«سيتولى كلانزس أمر احضار حقائبك الى غرفتك».

وبعد وقت قصير كانا جالسين في الحديقة يتناولان شراباً مرطباً.

«دورين. ينتابني احساس انك لم تفكر لحظة بامكانية بقائي في الفندق، بل كنت مصمّماً على مكوثي هنا مهما كان الامر».

«صحيح. ومجيئك الى اليونان لا علاقة له كعارضة ازياء».

«اذن ما سبب وجودي هنا؟».

«كفاك تمثيلاً. علمت منذ البداية انني السبب وراء هذا العرض».

«نعم علمت ذلك».

«اذن تعلمين ايضاً ما اريد منك».

«واعلم ما اريد لنفسي».

تابعت جولييت كلامها شارحة له انها سترجع الى لندن حالاً ان لم تكن ستعمل كعارضة ازياء.

«قلت لك في لندن انني لن اوافق ان اكون غير زوجتك. وما زلت مصرة على قولي».

حاول دورين اقناعها من جديد، معيداً على مسامعها استعداده لمنحها جميع ما تشتهي نفسها من جواهر وثياب، وحتى منزلاً مستقلاً تسكنه متى تشاء ويبقى لها حتى لو قررا ان ينفصلا في المستقبل. أصغت اليه جولييت بصمت وعندما انتهى قالت:

«دورين، اما الزواج او لا شيء».
«أتعرضين علي ان اتزوجك؟».
احتقن وجه جولييت واجابت:
«أسأت فهمي تماماً. فمن الافضل تغيير الموضوع».
«لن أغيّر الموضوع. اريد الوصول الى حل».
«لو كنت تحبني حباً كافياً لاردتني ان اصبح زوجتك».
«حباً كافياً...».
وبدا على دورين انه يفكر، وكأن جولييت فتحت امامه صفحة جديدة عن طبيعة النساء واطوارهن. واستغرق في التفكير ولم يتابع الحديث عن هذا الموضوع الا في المساء. فبعد انتهائهما من تناول طعام العشاء طلب منها دورين ان ترافقه في نزهة الى الحديقة. ساد الصمت بينهما لوقت طويل حتى توقف دورين عن السير واخذ يتطلع في عينيها بشوق عارم، وبدا كأنه فقد السيطرة على عواطفه. حاولت ان تبتعد عنه لكنه جذبها اليه بشدة وقال:
«جولييت حبيبتي. قلت لي سابقاً انك توافقين على ان تصبحي زوجتي. ها انا اطلبك للزواج رسمياً.. فهل تقبلين؟».
«هل تحبني؟»..
سألته هذا رغم ان الجواب على سؤالها كان واضحاً على وجهه. فأجاب:
«أحبك يا ساحرتي. فهل تقبلين بي زوجاً لك؟».

همست وفرح الانتصار يغمر قلبها:

«بكل سرور».

احست كأنها طير وجد حريته من جديد. فها هي فرصة الانتقام قد حانت.

الانتقام! كلمة سحرية سطعت في أفقها، باتت مسيطرة على وجودها، مستبدة بحياتها ومستقبلها. الانتقام... لن يهدأ البركان في اعماقها الا حين تنجح في تحطيم قلب دورين كوراليس...

تمّت حفلة الزفاف. حضرتها وفود من الاصدقاء والاقارب مهنئين العريس على ذوقه الرفيع وحظه السعيد.

بدت جولييت وكأنها طالعة من اسطورة تتألق في ثوب ابيض من النسيج الحريري الصقيل. اما دورين، فكانت فرحته لا توصف. ويبدو على وجهه الفخر والاعتزاز بزوجة المستقبل.

انتهت الحفلة ووجدت جولييت نفسها برفقة دورين... كانا وحدهما. فهي الآن زوجته، والوقت الذي كان دورين ينتظره بفارغ الصبر، ها هو قد آن أوانه.

اقترب منها وفي عينيه بريق من الغبطة والشوق. أخذها الى صدره بلهفة طاغية:

«هذا اليوم هو اسعد يوم في حياتي. يوم لن انساه ابداً. سأحبك يا عزيزتي حتى يوم وفاتي. هذا وعد أقطعه على نفسي يوم زفافنا».

كلمات عطرة، تتمنى كل عروس ان تسمعها يوم زواجها،

لكنها في ذهن جولييت كانت قصة اخرى مختلفة تماماً تحوك نفسها، والمستقبل يتراءى لها مجللاً بالثأر. ففي قلبها كانت تحمل لهذا الرجل كراهية وحقداً لا حد لها، ومرادها الوحيد ان تحطم حياته...

«لا ادري ياحبيبتي كيف لم ادرك سابقاً انني اريدك لي كزوجتي لا غير. زوجة احبها واعشقها طوال حياتي. زوجة تشاركني افراحي واحزاني. جولييت قولي انك تحبينني. فهي كلمات لا اسمعها منك الا نادراً».

«احبك دورين».

وابتعدت عنه نادمة، كم تكره الكذب فهي لم تعتد على الكذب من قبل.

«سنذهب غداً في رحلة حول الجزر اليونانية. سيكون شهر عسل تاريخياً».

اجابت جولييت بصوت مرتبك قليلاً:

«سيسعدني ذلك دون شك».

مما أثار قلق دورين فسألها:

«هل انت بخير يا حبيبتي؟».

«اشعر بالتعب والانهاك لاسيّما بعد نهار كهذا، استنفد قوتي كلها. هل تمانع لو قضيت الليلة في غرفة بمفردي؟».

بدت على وجهه خيبة الامل لكنه سرعان ما استبدلها بابتسامة وقال:

«إذا كانت هذه مشيئتك. لكن...».

«اشكر لطفك. انك انسان طيب».

وأوت جولييت الى فراشها. «بداية التعذيب» فكّرت في ذهنها. استلقت على الفراش تصغي الى زوجها في الغرفة المجاورة يسير مضطرباً جيئة وذهاباً وكأنه نمر داخل قفص. لقد بدأت بتنفيذ خطتها فهي تملك دورين في قبضة يدها الآن، وهو هائم في حبها. وحين يأتي اليوم الذي يعترض فيه على معاملتها له، سيكون جوابها جاهزاً. وتكون قد بلغت ذروة انتقامها آنذاك...

في اليوم التالي توجهت جولييت برفقة زوجها الى المرفأ حيث كان نيريوس في انتظارهما، وهو اليخت الذي يملكه دورين. بعد ان أبحرا معاً الى جزيرة ساموزراس، اقترب دورين من زوجته قائلاً:

«حسناً يا حبيبتي. اليوم بداية شهر العسل. سنجعل هذا الشهر بداية رائعة نتوج بها حياتنا معاً».

كان صوته ناعماً رقيقاً. ورغم حقيقة شعورها نحوه لم تقو جولييت على صدّ الندم الذي تسرب الى قلبها. فهذه الرحلة الرائعة تعني ان اوقاتاً سعيدة، هانئة تنتظرهما، ولو ان الحب بينهما كان شعوراً متبادلاً، لكان كل شيء في العالم سيبدو زاهياً كأن الحلم تحول الى حقيقة.

وصلا الجزيرة وشرع دورين يشرح لها أسماء الاماكن الاثرية التي يعبران بها. وأسعدها هذا لانها كانت تهتم بتاريخ اليونان وحضارته العريقة. والحق ان هذا الاهتمام بدأ منذ ان وقع

نظرها على صورة دورين للمرة الاولى. اظهرت تجاهه الآن شوقاً وحباً عارمين محاولة ان تكتسب ثقته الكاملة بها. فهي تريده ان يتعلق بها الى اقصى حد، حتى تكون تعاسته اقوى من ان يتحملها، عندما يكتشف الحقيقة في النهاية.

عندما بلغا منطقة أثرية تنتصب فيها التماثيل الرومانية الشامخة وغيرها من المباني والانصاب التاريخية، أخذت جولييت تتأملها باهتمام شديد سعيدة كالطفلة امام دمية جديدة:

«أبنى اليونانيون كل هذه المباني الضخمة لارضاء رموز؟».

«تذكري اننا كنا نعجب بالرموز فمن الطبيعي اننا حاولنا الابداع في بناء أنصاب لها».

«اعتقد ان تمثال «النصر المجنح» عثر عليه هنا في هذه الجزيرة بالذات».

«صحيح. عثر عليه فرنسي ولسوء الحظ أخذه الى بلاده وهو الآن معروض في متحف اللوفر».

«يا للأسف. فتمثال بهذا الجمال وهذه الاهمية يجب ان يكون معروضاً في بلاده».

«انك على صواب. لكن كما هي الحالة بالنسبة للعديد من التماثيل التاريخية المهمة، فهي موجودة الآن في بلاد غريبة».

«لا ادري لماذا سمح اليونانيون للأجانب بالاستيلاء على ثروتهم الحضارية؟».

«كان هذا في العهود القديمة، لكن الامر تغير مع مرور السنين ولن يحصل ذلك بعد الآن».

سألت جولييت:

«هل بامكاننا ان نتسلق هذه التلة؟».

ثم اضافت:

«اريد الجلوس حيث جلس بوسيدون يراقب حرب طروادة».

ضحكت جولييت بينما وقف دورين لاهثاً:

«من اين لك كل هذه المعلومات عن تاريخ اليونان؟».

«معظمها قرأته في الكتب... بدأت اهتم بتاريخ الاغريق وانا في السابعة عشرة من عمري».

«اين كنت في هذا العمر؟ اعلم القليل جداً عن ماضيك. تمّ زواجنا بسرعة الا تعتقدين؟».

«ثلاثة ايام بعد وصولي الى زاسوس».

«ثلاثة ايام. أمضينا اسبوعين معاً فقط. امامنا عمر بكامله لنتعرف على بعضنا».

وانطلقا يتسلقان التلة حتى بلغا القمة حيث وقفا يتأملان جبل آتوس وسألها دورين عن ماضيها من جديد.

«ماذا كنت تفعلين وانت في السابعة عشرة من عمرك؟».

«كنت أقوم بالاعمال المنزلية».

«اذن لم تكوني تعملين خارج البيت في ذلك الحين؟».

«لا. لم اعمل الا بعد تخرّجي من المعهد التجاري».

«كان عليك ان تتدرّبي كعارضة ازياء».

سألته جولييت والابتسامة تعلو ثغرها:

«اتعتقد ذلك؟».

كانت تتساءل عما ستكون ردة فعله لو علم انها كانت اميلي لوزار في ذلك الوقت. الفتاة القبيحة المظهر التي كانت تتمنى لو يلقي عليها نظرة واحدة.

«ألديك صور وانت في سن المراهقة؟».

«نعم. لكن جميع صوري ما زالت في البيت في لندن».

«لندن؟».

«لم يزل لدي هناك العديد من امتعتي الشخصية».

«عليك تدبير نقلها الى هنا في اقرب وقت».

«لا أزال املك المنزل طبعاً. افضّل وضعه للايجار بدلاً من بيعه».

قالت ذلك وهي تفكر بالعودة الى منزلها في المستقبل القريب. بعد ان تأخذ بثأرها منه. بعد ان تنفذ الخطة...

ما يعرفه دورين عن ماضي جولييت لم يكن سوى القليل. فهي امتنعت عن التحدث عن الماضي بتفاصيله.

كان يعتقد انها تعيش في منزل والديها، وانهما توفيا وتركا لها المنزل في لندن. نجحت جولييت في تفادي اية احراجات قد تنجم عن زلة لسان غير مقصودة، او كلمة ليست في مكانها وهي تتحدث عن الماضي. الا انها كانت بكل لباقة تتجنب هذا الموضوع كلما امكنها ذلك.

٦- تحبّيني أم لا؟

انطلقا في الغد الى جزيرة لزيوس ومنها الى آندروس وجولييت ما زالت تتبع خطتها لتعذيب زوجها حتى اعترض دورين على هذا الوضع ذات ليلة وواجهها قائلاً:

«جولييت. انت فتاة ذكية وحساسة. لا شك انك تعلمين سبب تصرفك تجاهي بهذه الطريقة».

«طبعاً اعلم السبب. فالزواج تغيير كامل ومفاجىء في حياتي».

«لكنك كنت مستعدة للزواج نفسياً وجسدياً. اتحبينني ام لا؟».

«تعلم اني احبك».

وكادت تنفجر ضاحكة. كم يسعدها ان تراه يتألم.

«حبيبتي، دعيني اظهر لك حبي وشوقي. فنفسي بشوق اليك».

«دورين. لا اقصد تعذيبك لكن».

«لكنك تمزقينني ارباً. لقد اردت شهر العسل ان يكون شهراً لن ننساه طالما نحن على قيد الحياة. مضى على زواجنا اربعة ايام وما زلنا ننام في فراشين منفصلين».

«الوقت سيقربنا الى بعضنا. حاول ان تفهم وضعي لمدة اطول».

«وكم من الوقت تحتاجين؟».

«دورين! تتكلم وكأنك تزوجتني لاجل هذا فقط».

«انها نزوة طبيعية يشعر بها الرجل تجاه زوجته وخاصة خلال شهر العسل».

«لكن امامنا العمر بطوله»:

«وشهر العسل مرة في العمر كله».

دفنت جولييت رأسها بين يديها وتظاهرت بالبكاء. فأخذها دورين من كتفيها متوسلاً اليها ان تسامحه.

«جولييت، اعذريني. ساحاول ان افهم الوضع قدر المستطاع. هذه اول مرة اتعرف فيها على امرأة مثلك. ادرك الآن انك طاهرة وبريئة وعلي ان اعاملك برقة ولطف».

«دورين، خذني بين ذراعيك».

فعل دورين هذا مظهراً حبه وعطفه تجاهها بينما كانت في

قلبها نار من الكراهية وفرح الانتصار.

وصلا الى جزيرة دلوس: مسقط رأس ابوللو وارتميس. جزيرة باتت مقدسة لدى الاغريق فقرروا ابقاءها خالية من السكان. انطلقا لزيارة الاماكن الاثرية والهياكل التي بنيت لرمز الشمس ابوللو. كانت جولييت تتمتع بوقتها الى اقصى حد، ويظهر عليها الاشراق والابتهاج وكان دورين يستجيب لغبطتها احياناً ناسياً تعاسته وتساؤلاته الملحة.

بعد نهار من التنزه والسير وتسلّق التلال وتفقّد الاماكن التاريخية، استعدا للعودة الى اليخت. كان البحر هائجاً فامسكت جولييت بيد دورين لتهدىء من خوفها واضطرابها، وجذبها هذا اليه وقد استيقظت في اعماقه رغبته الجامحة لامتلاكها.

«جولييت احبك. . . لنبدأ شهر عسلنا هذه الليلة».

ابتعدت عنه جولييت حين لمحت على وجهه تغييراً مفاجئاً في لونه.

«لست مستعدة لاصبح زوجتك بعد. اطلب منك ان تصبر اكثر».

لم يجب دورين واعتقدت جولييت انها ربحت مرة اخرى. فدورين يحبها لدرجة انه مستعد لارضائها مهما كان الثمن. طبعاً لا تتوقع ان تدوم تضحيته الى الابد. سيأتي اليوم الذي سيطالب فيه بحل لهذا الوضع.

ولكن هذا اليوم لم يأت بعد.

كانت جولييت في حجرتها داخل السفينة، مرتدية ثوباً للنوم ينسدل على قامتها الرشيقة، كاشفاً عن جمالها الرائع المغري. اشتدت حالة البحر سوءاً وكانت السفينة تتأرجح بقوة فوق الامواج الهوجاء مما جعل الذعر يتسرب الى قلبها.

فجأة انفتح باب الحجرة ودخل دورين ثم اغلق الباب وراءه.

لم تحرك جولييت جفناً بل وقفت تنظر اليه بتعجب.

«هل تريد شيئاً؟».

لم يجب دورين بل اقترب منها، ملتهماً اياها بعينيه. احست جولييت ان الوضع قد اقترب من نقطة الانفجار.

فاعادت سؤالها. كان دورين يحدق بها بامعان فاجاب:

«اريد اولاً التحدث اليك».

«بات الوقت متأخراً للثرثرة».

«لم آت لاثرثر».

واقترب منها. ثم همس في اذنها:

«جولييت احبك. تعالي لنناقش ما يزعجك».

تنهدت جولييت مدركة انها ستضطر لبوح الحقيقة. كانت تتوقع ان تستمر في تعذيبه لوقت اطول. فاجابت:

«كما قلت لك من قبل. لست مستعدة للاستجابة لنزوتك بعد».

ترى! أسيتركها ويأوي الى فراشه وهو ما زال يتساءل عما يجري في حياته؟ لكنه لم يبد اي استعداد للذهاب بل استلقى

على كرسي متأملاً جولييت، متفحصاً تعابير وجهها، محاولاً بعينيه اختراق الجدار الذي يفصلهما.

«ومتى تصبحين مستعدة لمبادلة رغبتي اليك؟ مضى اسبوع على زواجنا». . .

«اسبوع وقت قصير جداً. لست اول زوجة تعاني من مشكلة نفسية كهذه».

«صحيح. لكنك اول زوجة لا تبالي لمعالجة سبب هذا الشعور».

«دورين، ارجوك، حاول ان تفهمني. فالامر صعب بالنسبة الي ايضاً. خاصة اني احبك». . .

«أتعنين ما تقولين؟ اصبحت اتساءل عما اذا كنت فعلاً تحبينني».

«احبك دورين. الا يمكنك الانتظار لوقت اطول؟».

«الى متى يدوم هذا الانتظار؟».

«ربما لمدة اسبوع آخر او شهر او. . .».

«أو سنة، سنتين، عشر سنين».

واوشك دورين ان يفقد السيطرة على نفسه. ادركت جولييت انها في مأزق. لقد اخطأت في تمثيل دورها، فأخذت تحاول انقاذ الموقف.

توسلت اليه:

«لا تغضب علي».

ثم اضافت قائلة:

«فانا تعيسة بما يكفي».

«انت؟ تعيسة؟».

رمقها بنظرة يساورها الشك واضاف:

«أتعتقدين ان حسرتك توازي الاسى الذي يمزق فؤادي؟».

«وكيف لي ان اعلم ذلك؟ ارجوك لا تنظر الي بهذه الطريقة. فانت تخيفني».

«اخيفك؟ وكيف؟».

«تبدو على وجهك تعابير قاسية».

تجهم وجه دورين اذ لم يكن ينتظر منها ان تتهمه بالقساوة، بينما كان على العكس من ذلك يحاول جهده ان يظهر لطيفاً، حنوناً.

«لا يا عزيزتي. انك مخطئة».

«ربّما. لكن ارجوك ان تتركني فانا منهكة من التعب».

«لكننا في شهر العسل وحتى الآن لم نزل سوى غريبين بالكاد يعرف احدنا الآخر».

«لا تجعل تسرّعك يقضي على سعادتنا».

«تسرّعي؟ اتعتقدين انني من حجر؟».

«دورين لم يحن الوقت بعد».

«اخبريني هل كنت تتوقعين زواجاً افلاطونياً؟».

«لا.. طبعاً»...

«اذن ممّ تعانين؟ تتكلمين عن الحب بيننا لا تدل تصرفاتك

الا على قلة اهتمام وانانية مما يجعلني اشكّ في حقيقة حبك لي».

«ولم تزوجتك ان لم اكن احبك؟».

«هذا ما اود معرفته».

اقترب منها محدقاً في عينيها ثم قال: ـ

«لماذا؟ لماذا تزوجتني؟».

كان واضحاً لجولييت الآن ان زوجها بلغ حدود الانتظار وصبره على وشك النفاد. فحاولت بيأس جمع افكارها والسيطرة على الموقف من جديد متشبثة بآخر محاولة لاعادة الامل اليه:

«تزوجتك لاني احبك».

«لا تكذبي. كفاك تمثيلاً. انتهت المهزلة الآن. من الواضح انك تمثلين دورك ببراعة ورباطة جاش، لكنني لم اعد كالدمية بين يديك. اريد معرفة سبب زواجك بي»:

وقفت جولييت وقد شحب لونها وارتعش جسدها.

تحطمت امامها جميع احلامها ورغباتها... كم تمنت لو يطول تعذيبه لمدة اطول. كم تمتعت بالتلاعب بعواطفه كما تشاء. لكنها رضخت للأمر الواقع اخيراً وقالت بصوت مرتعش:

«تزوجتك طمعاً بثروتك».

ظنت ان الحقيقة ستحطم قلبه، وان الحزن سيكون بمثابة طعنة في صميم قلبه... انها سترى كبرياءه تتحطم، وتكون هي قد وضعت آخر لمسة في لوحة الانتقام التي رسمتها في مخيلتها طيلة الاعوام الثمانية الماضية.

جمد دورين في مكانه. نظر اليها محاولاً ان يستوعب ما قالته.
شعرت جوليت بحاجة ماسة للفرار. ارادت الابتعاد عنه، عن هذا اليوناني المستبد، الذي يزرع الخوف في كيانها. كم تخشاه! وفي هذه الساعة بالذات.

تخيلت هذه اللحظة بشكل مختلف تماماً. كان تتوقع ان تكون هي سيدة الموقف، تستبد بغنيمتها وتلعب بها كيف تشاء. لكنها باتت ضحية لعبتها الماكرة.

«ماذا قلت؟».

«اعتقد انك سمعتني جيداً».

«طمعاً بثروتي؟ اريد شرحاً موسعاً اذا سمحت».

«ولماذا الشرح الموسع؟ الامر واضح جداً».

«اتعنين انك اردت الزواج برجل ثري وشاء القدر ان يكون هذا الرجل دورين كوراليس؟».

«بالضبط».

كان صوتها يرتجف من الخوف والخجل. حاولت بملء قوتها ان تضع حداً لارتباكها، ان تستعيد سيطرتها على نفسها، لكنها لم تتوقع ان يكون الوضع صعباً لهذا الحد، وان الموقف سيفلت من يدها بهذه السهولة.

«بدأت أرى الحقيقة الآن. كنت دائماً على ثقة كبيرة بجمالك وسحرك فأردت استعمالها كاداة لايقاع رجل ثري في مصيدتك. يا لك من صيادة ماهرة لكنك فوجئت بذكاء ضحيتك، أليس كذلك؟».

توقف قليلاً منتظراً منها ان تعلّق على افتراضه، لكنها لازمت الصمت فتابع قائلاً:

«ولم تكن تصرفاتك سوى تمثيل متقن لا غير. الى متى افترضت أنني سألعب لعبتك؟».

«لم يعد للجواب أية اهمية»..

«صحيح. لم يعد مهماً بعد الآن».

واقترب منها وشرارة الغضب تتصاعد من عينيه ثم قال:

«والآن يا زوجتي الساحرة»...

ابتعدت جولييت اذ تسرب الذعر الى قلبها. نظرت حولها بيأس شديد محاولة ان تجد مفراً من هذا الاسد الكاسر، لكن دورين امسكها بعنف وجذبها نحوه خانقاً آخر محاولة لها بالفرار. حاولت صدّه. قاومته بملء قوتها، لكنها ما لبثت ان استسلمت لارادته حتى قال ضاغطاً بانامله على وجهها:

«لا تتوقفي عن المقاومة يا جميلتي. لا تستسلمي بهذه السهولة»...

وارغمها على النظر في عينيه وكأنه يريدها ان تعلم انه سيدها وعليها اطاعته. ثم اطلق ضحكة رنانة اثارت غيظها لدرجة انها جمعت قوتها وعزمها من جديد وافلتت من قبضته. لكنه سرعان ما أحبط ثورتها وتمردها محكماً انامله حول رقبتها، وكأنه على وشك ان يخنقها. فصاحت بخوف:

«ارجوك اتركني وشأني. عد الى حجرتك».

«ليكن في علمك انك تخاطبين زوجك. اردت الزواج

فحصلت عليه. الدور دوري الآن».
«لا... ارجوك ارحل عني... لست على ما يرام».
«ستشعرين بتحسّن بعد قليل».
ومن جديد وجدت نفسها تحت رحمته. لكنها لم تيأس بعد، بل استمرت في مقاومته بينما كان هو يضحك هازئاً بمحاولتها الفاشلة. وقال بسخرية:
«ساحطم ارادتك الصلبة يا زوجتي الماكرة».
«اخرج من هنا حالاً قبل ان اجعل صراخي يجذب كل من في هذا المرفأ».
ضحك دورين من جديد واجاب:
«لن تفعلي ذلك. فكما قلت لك، اللعبة لعبتي منذ الآن وستبقى لي حتى أملّ منها واقرر استبدالها».
«ومتى سيكون ذلك؟».
«حين أملّ منك وارغب استبدالك بامرأة اخرى. فانت الآن غير زوجتي، تماماً كما كنت تخشين ان تصبحي».
واطلق ضحكة رنانة ثم اضاف:
«وستبقين هكذا حتى اجدَ امرأة اخرى تثير اهتمامي ورغبتي فاتركك في سلام. ولن تحصلي على قرش واحد من هذه الصفقة الخاسرة».
وقبل ان تجيب، حملها دورين بين ذراعيه ودخل بها الى حجرته واغلق الباب بعنف، غير مبالٍ بدموعها ولا بتوسّلاتها.

٧- رودس. . . حيث بدأت القصة

اشرقت الشمس صباح اليوم التالي وغادرت جولييت فراشها حيث قضت الليل بطوله وهي تؤنب نفسها على الوضع المؤلم الذي خلقته لنفسها. كان دورين لم يزل نائماً. نظرت اليه بيأس وخجل، محاولة طرد ذكرى الليلة التي انقضت عليهما معاً، وفي هذا الفراش بالذات، حيث قضت ليلتها مرغمة.

لم يبق أمامها سوى الفرار. لجأت الى حجرتها لتستعد للرحيل. وبينما كانت تجمع ثيابها في الحقيبة دخل دورين والابتسامة تعلو وجهه:

«الى أين يا عزيزتي؟».

«الى لندن. سأرحل حالا».

«لا أعتقد ذلك».

«لا يمكنك ارغامي على البقاء هنا. فلا شيء يمنعني من مغادرة هذه السفينة متى اشاء».

«لكنك تزوجتني طمعاً بالمال. أليس كذلك؟».

«لم أعد أبالي بثروتك».

«من يطمع بالذهب لا ييأس بسهولة. فهل لك ان توضحي لي الأمر اكثر؟».

ابتعدت عنه جولييت وأزاحت ستائر النافذة. اشرقت الشمس من خلال الزجاج وشرد نظر جولييت الى الخارج حيث تركت حريتها. براءة طفولتها، شهامة نواياها وصفاء أفكارها. كيف سمحت لنفسها ان تتبع كالعمياء نزوة انتقامها التي أدت بها الى موقف تضطر فيه الى مواجهة الذل والاشمئزاز؟ خاصة من رجل أذلها من قبل، وسبب لها الاشمئزاز ذات مرة.

«ما زلت انتظر جوابك».

«لم أعد أرغب بأن أكون زوجتك».

«أكنت تتوقعين زواجاً أفلاطونياً من رجل ثري؟».

كم كانت كلماته مؤلمة وجارحة. لكنها أبت ان تشرح له الحقيقة. كيف تبوح له انها اميلي لوزار؟ لا. لن تفعل ذلك مهما كان الأمر. الحل الوحيد هو العودة الى لندن والانفصال عن دورين... هناك تنتظر ان يتم الطلاق بينهما وينتهي الأمر. ويزول الكابوس. لن تجد صعوبة في العودة الى حياتها السابقة. ستشرح الأمر لماغ بالتفصيل، اما اصدقاؤ ها الآخرون فعليهم

الاكتفاء بشرح مختصر. حاولت من جديد اقناع دورين بالقبول بالأمر الواقع:

«دورين، لن تنفع الكلمات ولن يتغير الوضع. كان زواجنا مجرد غلطة يجب وضع حد لها. فأرجوك ان تضع النقاش جانباً».

«تريدين وضع حد لزواجنا؟ ينتابني شعور غريب. شعور بأنك لم تصارحيني بالحقيقة كلها بعد. هناك شيء آخر أود معرفته».

«لا أنوي الاستمرار في هذه المناقشة. قررت الرحيل وهذا ما سأفعل».

«لأبرهن لك على انك مخطئة، ستجدين ان هذا اليخت سيبحر حالا. ولن تسنح لك فرصة الرحيل الا متى قررت أنا التاريخ والساعة».

مضت عليهما ثلاثة أسابيع وهما يطوفان البحر. وكلما وصلت السفينة الى مرفأ أقفل دورين باب حجرة جولييت، بينما كان العمل يجري على تزويد اليخت بالبنزين والمؤونة. ثم أعطى أوامره بالابحار من جديد. وهكذا مرت الأيام. كانت جولييت تتحسر على وضعها، نادمة على الغلطة الشنيعة التي ارتكبتها، متمنية لو تعيد الوقت الى الوراء ونبدأ من جديد، وكأن القدر لم يجمعها بدورين ابداً. آه لو بقي مجرد ذكرى تافهة في ماضٍ انقضى الى غير عودة.

كانت تراقبه من خلال نافذة حجرتها متسائلة الى متى سيدوم

تجوالهما من مرفأ الى مرفأ؟ لا يبدو على دورين أي تعبير عن الضجر. يبدو راضياً بالعيش على هذا النحو. كان يمضي أوقاته بالمطالعة والاسترخاء تحت أشعة الشمس، غير مهتم بما يجري لزوجته. وحين حاولت الاعتراض ذات يوم أجابها بجفاء:

«عليك ان تعلمي ان الزوجة اليونانية تخضع لارادة زوجها من دون أي اعتراض».

«لكنني لست يونانية».

«تزوجت يونانياً، لذا عليك ان تحترمي تقاليد زوجك وان تتقيدي بها. ومن الأفضل لك ان تدركي امراً مهماً جداً... هو انني سيّدك وعليك طاعتي».

شعرت جولييت برأسها يدور:

«أشعر بدوران. عليّ ان أجلس».

لاحظ دورين ان لونها قد شحب فتركها وذهب ليعد لها شراباً مرطباً. وبعد اصراره عليها قبلت ان تتناوله.

مضى على زواجهما شهر كامل، تعلمت جولييت خلاله ان تعامل زوجها بحذر ولباقة، متجنبة اثارة غضبه، محاولة ارضاءه باستمرار. قضت معظم أوقاتها تكتب رسائل الى ماغ تخبرها عما يجري، لكنها رسائل لا تغادر المرفأ، طالما انها لا تثق باعطائها لدورين. فربما فتحها وقرأ محتوياتها وعرف الحقيقة. سمعته يوماً يقول لملاّحي السفينة انه يتوقع منهم العمل لمدة طويلة، لأنه لا يعلم متى سيقرر العودة الى زاسوس. أغاظها ما سمعت وواجهته بالأمر.

«دورين من المستحيل ان نبقى على سطح البحر الى الأبد».
«ولِمَ لا؟ انني سعيد جداً».
«سعيد؟ لا أصدق ذلك».
«سنطوف البحر حتى استخرج منك الخبر الذي انتظره».
وعاد لمطالعة كتابه. عادت جولييت الى غرفتها محاولة تفسير كلماته. وبعد تفكير طويل أدركت ما يجول في خاطره. فهو يعتقد انها حامل. ومتى واجهته بهذا الخبر سيقرر العودة الى زاسوس.
أشرق وجه جولييت اذ تيقنت من الحل الذي سيفتح أمامها طريق العودة الى حريتها من جديد. وعند المساء، كانت جولييت تتناول طعام العشاء برفقة دورين فبادرته الحديث قائلة:
«دورين أتذكر انني شعرت بدوار نهار أمس؟».
«أذكر».
«أعتقد اني حامل».
«هذا ما كنت أتوقع».
كان صوته مجرداً من أي عاطفة واستمر قائلا:
«حسناً اذن! سنزور رودس غداً وبعدها سنرجع الى زاسوس».
تنهدت جولييت الصعداء وحاولت اخفاء سعادتها فقالت بصوت ناعم:
«ألا تخشى ان أهرب متى وصلنا الجزيرة؟».

«لا أعتقد انك ستجرؤ ين على عمل كهذا، خاصة وأنت حامل... ستحتاجين لمساعدتي المالية من دون شك».

أومأت جولييت رأسها وأجابت:

«نجحت في ان تضعني حيث تريدني، أليس كذلك؟».

«بكل تأكيد».

«وماذا سيحصل بعد ولادة الطفل؟».

«يمكنك الرحيل».

«تتوقع مني ان أرحل وأترك لك الطفل؟».

«نعم سيكون الطفل بمثابة تسديد حسابك لي».

«لكن كيف تتوقع مني ان أترك طفلي؟ فلذة كبدي».

«امرأة مثلك لا تريد ان يقف في طريقها احد. لا شك انك ستعودين لاصطياد رجل ثري آخر».

حاولت جولييت تجاهل ما سمعت. كم آلمتها كلماته! وأي مرارة ان تدرك حقيقة العواطف التي تختلج في أعماقها هي! كيف شاء القدر ان تصبح هي الضحية؟ ألا يكفي انها خضعت للعذات والذل وهي لم تزل في مطلع عمرها؟ لم تعد تقوى على التحمل، انه وضع مستحيل. ستهرب في أول فرصة ممكنة. ما ان تصل الى زاسوس حتى تعد حقائبها وتتركه الى الأبد.

وصلا الى رودس نهار اليوم التالي، وأشرق وجه جولييت. جاء دورين لمرافقتها الى المرفأ.

«تعالي سأصطحبك في رحلة حول الجزيرة».

«هل سبق لك ان زرت رودس؟».

«نعم كنت هنا منذ تسع سنين تقريباً».

أرادت جولييت ان تطرح عليه المزيد من الأسئلة، لكنها لاحظت عليه انه لا يرغب بالاجابة... فلزمت الصمت.

رودس... حيث بدأت قصتهما. فلولم تتم معرفته بتانيا في ذلك الوقت لما تعرفت عليه اميلي لوزار، ولما تزوجته جولييت هاردي... انه القدر...

تركت جولييت همومها جانباً وحاولت التمتع بوقتها قدر المستطاع. كم اشتاقت لرؤية الجبال والأشجار والتلال وللشعور بالأرض تحت قدميها... غمرتها سعادة لا توصف. اصطحبها دورين الى اماكن متعددة أثارت اهتمامها واعجابها. وبعد مضي ساعات من التنزه، شعرت جولييت بالتعب فطلبت من دورين الاستهداء الى مكان مناسب للاستراحة.

جلسا تحت ظل شجر السرو يتناولان شراب عصير الليمون.

«هل انت بخير؟ تبدين شاحبة اللون».

انتابها شعور بالخجل. لا شك ان دورين قلق عليها، فهو يعتقد انها حامل. غمرها شعور بالذنب ورغبة عارمة في ان تبوح له بالحقيقة، لكنها قاومت عواطفها وقد أيقنت ان اعتقاده هذا، هو فرصتها الوحيدة للخلاص... للعودة الى بلادها.

اجابت بنعومة:

«انني على ما يرام».

وراحت تتأمل ما حولها. كانت وفود السياح تملأ الشوارع،

فجزيرة رودس منطقة تاريخية مهمة.
«هل انت واثقة انك بخير؟».
ابتسمت جولييت وأجابت:
«طبعاً».

وعجزت عن تفسير مشاعرها، فهي في الحقيقة تعاني من التعب والارهاق. لا بد انه تأثير حرارة الشمس عليها. لكنها كانت مصرة على التمتع بوقتها حتى آخر لحظة. بعد استراحة قصيرة، توجها معاً الى المدينة حيث قصدا المتاجر العديدة والأسواق المنتشرة في كل اتجاه. كانت جولييت تعلم ان دورين يتشوق لشراء هدايا كثيرة لها، لو انها فعلا الزوجة التي كان يحلم بها.

لكن لماذا الندم؟ ما معنى هذا الاحساس الغريب الذي يخيم على قلبها؟ احساس بالحنين، بالشوق... لكن الى من؟ لم تعد تدري حقيقة عواطفها. كل شيء ينتابها دفعة واحدة.

بدأت الشمس تغيب خلف الأفق وحان موعد عودتهما الى اليخت فقال دورين:
«بات الوقت متأخراً. من الأفضل ان نعود الى السفينة».
أومأت جولييت برأسها ولم تقل شيئاً، اذ كانت تشعر بالتعب والانهاك يغمرانها. في طريقهما الى المرفأ لاحظ دورين ان زوجته ليست على ما يرام فسألها:
«جولييت ما بالك؟».
انتابها شعور بالذنب من جديد، وقررت انها لن تقوى على

الاستمرار في الكذب فقالت:

«دورين اني. . .».

وقبل ان تكمل جملتها غمرتها ظلمة مفاجئة وفقدت وعيها بعد لحظة.

حين استيقظت من جديد وجدت نفسها على فراش في المستشفى.

اقتربت منها الممرضة وأخبرتها ان حالتها تحسنت كثيراً.

كانت تعاني من ضربة شمس.

ودخل دورين الى غرفتها ليطمئن عليها.

«آسفة دورين. كان يجب عليّ ان اعلمك بأنني منهكة».

«المهم انك بخير الآن. كيف تشعرين؟».

«أفضل حالا».

توقفت قليلا ثم همّت بأن تبوح له بكل شيء.

«دورين اريد الاعتراف لك بشيء مهم».

لكن دخول الممرضة الى الغرفة في ذلك الحين جعلها تتوقف عن المتابعة.

«سيد كوراليس. هناك مخابرة هاتفية لك. يبدو ان الأمر يخص يختك نيريوس».

«ماذا؟».

وأسرع بالذهاب للتحقيق في الأمر.

بعد ساعة من الوقت عاد الى غرفة جولييت ليخبرها ان اليخت تعرّض لحادث اصطدام وانه لن يكون جاهزاً الا بعد

اسبوع.

«سأقرر فيها بعد اذا ما كنا سنبقى هنا بانتظار تصليح اليخت او نعود الى زاسوس عن طريق الجو. اما الليلة فسوف نقضيها في الفندق. هل بوسعك تناول طعام العشاء في الفندق أم تفضلين ملازمة الفراش؟».

«أشعر بتحسن كبير. سيسعدني ان أتناول العشاء في الفندق طبعاً».

أفرحتها فكرة البقاء في رودس لمدة اطول. أرادت ان تصارحه بأمر في غاية الأهمية، لكنه نسي ذلك. وعندما لاحظ ان اللون عاد الى وجنتيها مما يدل على انها بخير، قال:

«حسناً اذن. سأحجز لنا طاولة عشاء في الساعة الثامنة والنصف».

٨ـ مرحباً أيها الماضي

موسيقى ناعمة، وعشاء فاخر في مطعم فخم. هكذا بدأ المساء في مطعم فندق الورود. جلست جولييت تتأمل ما حولها باعجاب وتقدير، حاسدة الناس من حولها، متمنية لو ان بوسعها مشاركتهم فرحتهم وابتهاجهم... كان الجو يوحي بالرومنطيقية، وانتابتها رغبة للرقص مع زوجها. رفعت عينيها اليه. فالتقت نظرتها لكنه سرعان ما حوّل نظره عنها متجاهلاً رغبتها. انقبض قلبها واغرورقت عيناها بالدموع، وعندما مدّت يدها لتلتقط منديلها وجدت انها تركت حقيبتها في غرفة الفندق. فاعتذرت من دورين وهرعت الى غرفة الاستراحة... وعندما همّت بالعودة وجدت نفسها امام

سيدتين واقفتين امام باب القاعة، تنتظران من خادم المطعم ان يصطحبهما الى طاولة مناسبة. لم تر وجههما بعد اذ كانت جولييت تقترب من الجهة الخلفية. وفجأة هتفت واحدة منهما:

«دورين! يا لها من فرصة سعيدة للقائك من جديد».

كادت جولييت تفقد وعيها... كانت فجأة تواجه خالتها وتانيا. بقيت في مكانها تحاول ان تستعيد انفاسها، ثم همّت بالعودة الى زوجها. كان خادم الفندق قد اقترب من خالتها قائلاً:

«سيدة لوزار، طاولتك جاهزة».

توجهت خالتها برفقة الخادم الى طاولتها، بينما كانت تانيا تتحدث الى دورين. اقتربت منهما جولييت لكن تانيا لم تنتبه الى وجودها بل استمرت في الحديث قائلة:

«الصدفة تجمعنا من جديد وفي المكان نفسه».

«ارى ان والدتك ترافقك».

«نعم. وبما انك بمفردك سيسعدنا الانضمام اليك لتناول طعام العشاء والاحتفال بهذه المناسبة...».

تلاشى صوتها حين نظرت الى الطاولة وادركت انه ليس بمفرده. عندئذ وقف دورين اذ لاحظ ان زوجته تنظر اليه وفي عينيها يحتشد ألف سؤال:

«تانيا، اقدم لك زوجتي. جولييت هذه تانيا: صديقة أعرفها منذ زمن».

«زوجتك؟».

حاولت تانيا جهدها ان تبتسم، فنجحت اخيراً في مدّ يدها لتصافح جولييت قائلة:

«يسعدني لقاؤك».

كان واضحاً انها تنظر اليها بحسد وغيرة. وتحوّل نظرها من الوجه الساحر الجميل، الى القامة النحيلة المتناسقة، الى الثوب الانيق، والعقد الماسي الذي يطوّق عنقها والذي كان هدية دورين اليها يوم زفافهما.

«جولييت»...

رددت الاسم من جديد ثم اضافت:

«اسم غريب... يذكرني بفتاة عرفتها سابقاً».

همت جولييت بالجلوس وقلبها يخفق بسرعة. لم تتوقع رؤ ية ابنة خالتها من جديد. لا شك ان تانيا ما زالت تحتفظ بجمالها وسحرها، ولا تزال تبتسم بطريقتها الخاصة المغرية. ثم غادرتهما تانيا لتنضم الى والدتها وبقيت جولييت تلازم الصمت محاولة التغلب على ارتباكها. رفعت نظرها لتراقب ردة فعل زوجها. ترى! ما الذي يجول في ذهنه؟ أيتمنى لو كان حراً ليجدد علاقته الحميمة مع حبيبة الماضي؟

نظر اليها دورين بتعجب وقال:

«الا يعجبك شرابك؟ فانك لم تحتسي منه شيئاً بعد».

ثم اضاف فجأة:

«لم تظهري اي اهتمام بتانيا».

لم تجب جولييت مباشرة. كانت تفكر انه ربما من المستحسن

ان تسأله عن تانيا لازالة شكوكه. فهي لم تفعل ذلك في البداية لسببين. أولاً: تعرف كل شيء يتعلق بعلاقتهما السابقة، ثانياً: لم ترق لها فكرة التصنّع بالجهل. لكن اذا كان دورين ينتظر منها ردة فعل معينة فلا بد لها من التمثيل.

«سمعت تانيا تقول انكما تقابلتما هنا من قبل».

«صحيح»...

«كانت ايضاً، ترغب بتناول طعام العشاء برفقتك».

«ظنّت أنني بمفردي».

«ولو كنت بمفردك أكان الوضع يختلف؟».

«لا أفهم ما تقصدين بسؤالك هذا».

«يبدو لي انكما كنتما اكثر من مجرد صديقين»

ظهرت على وجهه ابتسامة لئيمة واجاب:

«لا شك انك ذكية».

توردت وجنتاها وقالت:

«هل كنتما... عاشقين؟».

قطّب جبينه واجاب:

«ليس من عادتي الثرثرة في شؤون الماضي».

ثم انهمك بتناول طعامه ملقياً بين الحين والآخر نظرة سريعة الى حيث كانت تانيا جالسة. تساءلت جولييت، ماذا لو تبوح له بالحقيقة؟

«لكنك تعرف انكما كنتما اكثر من صديقين والا لما وصفتني بالذكاء».

«لنقل ان العلاقة التي كانت تربطنا، كانت علاقة حميمة».
اومأت جولييت برأسها وأجابت:
«تانيا تعتقد اذن انه من الممكن تجديد هذه العلاقة الحميمة وتحويلها، ربما الى علاقة مستمرة».
«علاقة مستمرة؟ وماذا يعني ذلك؟».
«الزواج طبعاً»...
وشعرت بألم يخترق احشاءها حين تفوهت بهذه الكلمة، وما يمكن ان تعنيه بالنسبة للمستقبل.
«لكنني متزوج. وسأبقى متزوجاً».
«وحين يتم الطلاق بيننا»...
«كلمة الطلاق غير موجودة عند اليونانيين».
«أتعني انه مهما حصل سأبقى زوجتك؟».
«لنغير الموضوع».
«انت الذي اردت التحدث عن صديقتك فأدى الحديث الى»...
«تعالي»...
جذبها اليه مقاطعاً حديثها واضاف:
«تعالي نرقص»...
وبعد انتهاء الرقص اصطحبها دورين ليقدمها الى السيدة لوزار.
حافظت جولييت على رزانتها ولم ترتبك ابداً، اذ كانت واثقة انه من المستحيل على خالتها ان تعرف حقيقة هويتها. حيّتها

بثقة وهدوء متفحصة هذا الوجه الأليف الذي عهدته منذ صباها. ما زال يوحي بالقساوة والخشونة والجفاء. وراحت عينا خالتها تدرسانها بامعان بينما تجاهلت جولييتِ النظر اليها. كان ينتابها شعور مريع لمجرد وجودها على مقربة من خالتها من جديد.

عادا الى طاولتهما حيث حاولت جولييت ان تتفادى الحديث عن تانيا وخالتها. وشرعت بالثرثرة عن جمال الفندق واناقته. كان دورين يستمع اليها لكنها لاحظت ان افكاره شاردة في موضوع آخر. اخافها الواقع. ما الذي يدور في ذهنه؟ هل اشتبه بشيء؟ مستحيل. او هل استولت تانيا على تفكيره؟ يا له من لقاء! هل هو القدر ثانية؟

بعد نزهتهما في الحديقة عادا الى صالة الفندق حيث كانت تانيا تتناول القهوة جالسة وحدها. وقفت عندما رأتهما مقبلين ثم اقتربت منهما قائلة:

«تفضلا بمشاركتي شرب القهوة».

نظر دورين الى جولييت منتظراً منها ان تتخذ القرار. فاجابت:

«بكل سرور».

ارادت ارضاء فضولها. فهي ترغب بالتحدث الى تانيا لأنها تجد الموقف مثيراً للغاية. جلسوا معاً وكانت تانيا اول من بدأ الحديث.

«هل انتما في اجازة؟».

«نوعاً ما».
«نوعاً ما؟».
ضحكت جولييت في سرها واجابت:
«اننا في شهر العسل. في رحلة حول الجزر على اليخت الذي يملكه دورين».
«يخت؟».
ونظرت تانيا الى دورين متابعة:
«لم تكن تملك يختاً حين تقابلنا».
«اشتريته منذ سنة واحدة فقط».
كانت تانيا تنظر الى جولييت نظرات غريبة. أيبدو صوتها أليفاً لديها؟ هل هي تحاول ان تتذكر اين سمعته من قبل؟ يمكن ان تتوصل الى تحديد التشابه الصوتي بين جولييت واميلي ذات يوم، لكنها لن تعرف انهما الفتاة نفسها ابداً.
قالت مخاطبة دورين:
«هل يمكن ان ازور يختك؟».
«طبعاً».
«حسناً اذن».
واشرق وجه تانيا وظهرت البهجة عليه، وكأنها للحظة واحدة، نسيت وجود جولييت كلياً. افتربت من دورين تنظر اليه عن كثب ثم اضافت:
«متى؟ غداً؟».
اجاب دورين بالنفي شارحاً لتانيا ان اليخت يخضع

للتصليح في الوقت الحاضر، وانه لن يكون جاهزاً قبل نهار السبت.

«حسناً. سانتظر حتى السبت».

تجاهل دورين النظر الى زوجته عمداً. لم يسأل رأيها في الموضوع. ورغم محاولة جوليت المستمرة في الاحتفاظ بهدوئها، وجدت نفسها تتذمّر بغضب فقالت:

«اليس لرأيي اي اعتبار لديكما؟».

رمقها زوجها بنظرة دهشة، وندمت جوليت لتسرّعها لكنه انقذ الموقف مجيباً:

«المعذرة يا عزيزتي. لم أتوقع انك ستعارضين».

غيرت جوليت الحديث بسرعة وحاولت التركيز على موضوع واحد. الماضي، وعلاقة تانيا بدورين. فتركتهما يثرثران عن الاوقات التي أمضياها معاً، بينما استلقت جوليت على مقعدها تحتسي القهوة وتستمع اليهما. لم يتحدثا بصراحة بل بتحفظ شديد. وشعرت جوليت كأنهما يتمنيان لو كانا بمفردهما. وبين الحين والآخر كان دورين يتنبه لوجود زوجته ويحاول مشاركتها الحديث. وكلما نطقت جوليت كلما كثرت التساؤلات في عيني تانيا. كانت تحاول عبثاً ان تحلّ لغز الصوت الأليف. وبقيت جوليت تتمتع بالموقف يتسارع الى ذهنها ألف سؤال. اولها:

«كم مضى من الوقت على لقائكما الأخير؟».

واجابت تانيا:

«منذ تسع سنوات تقريباً. أليس كذلك دورين؟».

لم يجب دورين بل كان ينظر الى زوجته وكأن هناك أمراً يقلقه. وعندما قاطعت تانيا تفكيره اجاب:

«المعذرة. ماذا قلت؟».

«غير مهم... ارادت زوجتك ان تعلم متى كان لقاؤنا الأخير؟».

لكن دورين لم يجب. فانتقلت جولييت الى السؤال التالي ووجّهته الى زوجها:

«هل اقمت في منزل عائلة تانيا؟».

«نعم».

«اين تسكنين تانيا؟».

«في قرية دورست الواقعة في مقاطعة هافينغتون. هل تعرفينها؟».

«سمعت عنها».

«وانت اين كنت تسكنين؟».

اخبرتها جولييت عن مكان سكنها وعن السيد والسيدة مانلي، واستنتجت تانيا انهما كانا والدي جولييت. ثم سألتها تانيا كيف حدث انها سمعت بمنطقة هافينغتون:

«حدث ان زرتها صدفة وانا في نزهة برفقة صديقتي. لاحظت انها منطقة مزدهرة بالعمران».

هتف دورين:

«عمران؟».

ثم اضاف:
«هل تعرض منزلكم لاي ضرر؟».
اومأت تانيا برأسها واجابت:
«لسوء الحظ نعم. اضطر والدي للتخلي عن معظم الاراضي التي كانت تحيط بمنزلنا. وبات منظره غريباً». وكما تعلم كان والدي متعلقاً بملكه واراضيه. اثرّت به الصدمة الى حد بعيد».
«آسف. لكن لماذا لم يحاول ان يبيعه ويجد منزلاً آخر، بعيداً عن المدينة وضوضائها؟».
ترددت تانيا قليلاً ثم اجابت:
«فقد المنزل قيمته التجارية. حاولنا بيعه وفشلنا».
ثم اخبرته تانيا ان خسارتهم ادت الى اصابة امها بتوتر عصبي، ونصحها الطبيب بالسفر للترويح عن نفسها. فقررت تانيا اصطحابها الى رودس حيث سبق ان استمتعا بعطلتهما في الماضي.
ثم سألتها جولييت:
«هل تسكنين مع والديك الآن؟».
«نعم».
«ألم تتزوجي ابداً؟».
«تزوجت لكن زواجي فشل. كان غلطة منذ البداية».
ونظرت تانيا الى دورين نظرة يملؤها الندم فقال:
«ربما حالفك الحظ في المرة القادمة».

«لن تكون هناك مرة قادمة».
ثم حولت نظرها الى جولييت واضافت:
«اشعر ان الغلطة حصلت منذ زمن. . . قبل ان اتعرف على جورج واتزوجه».
فكرت جولييت في ذهنها: يا للوقاحة، فتانيا تلقي اللوم على دورين. وأسرعت بتغيير الموضوع قائلة:
«هل لديك اخوة او اخوات؟».
«لا».
«اذن انتم ثلاثة فقط في العائلة؟».
«نعم اصبحنا ثلاثة منذ تسعة اعوام تقريباً».
ولسماعه ذلك قال دورين:
«ماذا؟ هل غادرتكم اميلي؟».
«نعم».
«هل نجحت اذن في ايجاد رجل تقترن به؟».
ولسماعها هذه الكلمات الجارحة، تمزق قلب جولييت. ثم انتابتها رغبة شديدة بالضحك لكنها حافظت على صمتها لتستمع الى رد تانيا. قالت هذه:
«لم تتزوج حسب ما أعلم. هربت بعد رحيلك بقليل».
«هربت؟ اتعنين برفقة رجل؟».
«هذا ما يعتقده والدي. لم نسمع عنها شيئاً منذ رحيلها».
«هذا تصرف اناني. خاصة بعد كل ما فعله والداك من اجلها».

فاسرعت جوليت بطرح سؤالها قائلة:

«هذه... اميلي. هل تبناها والداك؟».

«كانت ابنة خالتي. توفي اهلها وهي في السادسة من عمرها، فقدّمنا لها منزلنا ورعايتنا. ولم ندعها تحتاج لشيء، ولم نلق منها شيئاً. أليس هذا صحيحاً دورين؟».

«نعم. لا شيء سوى المتاعب».

بدت على وجهه علامات التفكير. وتساءلت عما اذا كان يتذكر لقاءهما في الغابة. فقالت مخاطبة تانيا:

«هل انت واثقة ان اميلي كانت سعيدة في مكوثها معكم؟ أعني الم تشعر بالوحدة مثلاً؟».

«لا، اذ قدّمنا لها كل شيء، حتى الحب والحنان».

الحب والحنان، كيف يمكن لتانيا ان تكذب بهذه السهولة؟

«ألم يحاول اهلك معرفة ما حصل لها بعد رحيلها؟».

«بلّغا الشرطة بالامر لكن الشرطة لم تسمع عنها شيئاً».

«لا شك انها قصة غامضة. اعني اختفاء اميلي دون اي اثر. ربما اصابها مكروه او لاقت حتفها من جراء حادث ما!».

هزت تانيا كتفيها معبرة عن قلة اهتمامها بهذا الموضوع، واجابت:

«ربما افضل لها ان تكون قد لاقت حتفها. كان مستواها الاخلاقي منحطاً».

اوشكت جوليت ان تنفجر من الغضب. كيف تجرؤ فتاة مثل تانيا ان تتهم اي شخص آخر بكونه دنيء الاخلاق؟ تملكها

الغيظ وقالت:

«ما زلت اعتقد انه كان واجباً على والديك التحقيق في الامر ومحاولة العثور عليها. حين اتخذوا على عاتقهم واجب تربيتها والعناية بها، كان من واجبهم ايضاً الالتجاء الى شتى الطرق المتوفرة لمعرفة ماذا حل بهذه الفتاة المسكينة».

نظرا اليها دورين وتانيا بدهشة. لكنها لم تبال بردة فعلهما بل استطردت قائلة:

«كم كان عمر اميلي حين غادرتكم؟».

«سبعة عشر تقريباً».

«مسكينة. كانت صغيرة السن».

«نعتقد انها هربت برفقة رجل مجهول. لكن لماذا تهتمين بابنة خالتي الى هذا الحد؟».

«اشعر بالشفقة عليها. فليس سهلاً على الانسان ان يعيش على حسنة الآخرين وان يرضيهم لبقائه على قيد الحياة. لكنني افترض ان والديك تفهّما حساسية الوضع وتفاديا تذكيرها بحقيقة وضعها العائلي».

قطبت تانيا جبينها وقالت ببطء ونعومة:

«هل تحدثت الى أحد من أهل القرية خلال زيارتك لها؟».

«لا اعتقد انني افهم ما تعنين».

قرر دورين انه من الافضل التدخل لوضع حد لهذا الحديث، اذ بدأ الجو يتوتر بين الاثنتين. فقال:

«وما نفع هذا الحديث الآن؟».

«اظن ان جولييت التقت باحد من سكان القرية كان مستعداً للثرثرة عنا وعن اميلي. فلم يزل هناك اشخاص يشفقون عليها رغم انها كادت تلحق بنا العار».

«العار؟ وماذا تعنين بذلك؟».

ضحكت تانيا واجابت:

«سيخبرك زوجك اذا سألته بلطف».

«دورين، اخبرني الآن».

وكان رد دورين على طلب زوجته:

«سنغير الموضوع حالاً».

وضحكت تانيا من جديد وفي عينيها نظرة ماكرة وقالت:

«أخلقنا لك تساؤلات عديدة؟... لكن لنعود الى سؤالي انا. هل حدثك احد عن اميلي؟ اريد الاستفهام عن هذا الامر لانك اظهرت اهتماماً شديداً بها».

ادركت جولييت انها ربما قالت اكثر مما يجب. فقررت اختصار جوابها:

«ليس من عادتي ان اثرثر مع احد».

احتقن وجه تانيا. لكن نظرها بقي مثبتاً على شعر جولييت. هذا الشعر الاشقر الذهبي الذي صبغته لشدة غبائها ذات يوم، آملة ان تجذب انتباه رجل احبته وهي صغيرة، منذ وقع نظرها على صورته أول مرة.

٩- من يحب من؟

جلست جولييت على العشب الاخضر وفي يدها كتاب مغلق. لم يكن بوسعها التركيز في المطالعة. كانت عيناها تراقبان زوجها وتانيا يلعبان كرة المضرب معاً، ووصلت ضحكاتهما الى مسمعها. يبدو انهما يتمتعان بوقت سعيد.

احست جولييت بغيظ شديد. ولسوء حظها، قررت السيدة لوزار ان تنضم اليها في ذلك الحين بالذات. فاقتربت منها وفي يدها كرسي جلست عليه قائلة:

«يبدو ان ابنتي وزوجك يقضيان وقتاً ممتعاً».

«ارى ذلك يا سيدة لوزار. لست عمياء».

«ايزعجك وجودهما معاً؟ أقدّر وضعك يا عزيزتي. لكن

عليك التيقن من أمر مهم وهو: تفادي الشعور بالغيرة.
فاصدقاء دورين مهمون لديه وليس تعقلاً منك ان تتوقعي منه التخلي عنهم لاجلك».

«لم اطلب منك اي نصيحة».

واشتعل الغضب داخل جولييت فاضافت:

«على أية حال، كنت على وشك الانهماك في المطالعة».

«حتى جئت انا واضفت الى غضبك».

«لكنني لست غاضبة».

«لا تحاولي النفي. فالغضب ظاهر على وجهك بوضوح، والغيرة بادية في عينيك. ارجوك لا تقاطعيني، فما سأقوله سيؤلمك نوعاً ما. كان دورين وتانيا من اعز الاصدقاء واحبّا بعضهما حباً عميقاً. لكن شاء القدر ان يفصلهما. ومن الواضح الآن انهما نادمان على ذلك»...

«سيدة لوزار، هل لي ان اذكرك انك تخاطبين زوجة دورين؟».

«لا، لم انس هذا الواقع المؤسف. لكن انظري اليهما. الا تبدو عليهما السعادة لوجودهما معاً؟».

وتنهدت السيدة لوزار ثم اضافت:

«منذ لقائهما من جديد وهما يقضيان معظم اوقاتهما معاً. الم تلاحظي انهما لا يزالان يحبان بعضهما؟».

نسيت جولييت ان من عادة خالتها ان تظهر وقاحة وقلة تهذيب بالغتين كلما فتحت فمها، فذلك يعود الى طبيعتها

المتغطرسة.

واجابتها بلؤم:

«حديثك مجرد من اي تفكير. فأنت وقحة، وسلوكك مخزٍ».

التقطت جولييت كتابها الملقى على العشب واضافت:

«والآن ارجوك دعيني وحدي»...

«كيف تجرؤ ين على انتقاد سلوكي بينما يدل تصرفك على قلة التهذيب؟».

لكن جولييت لسبب ما بدأت تشفق على خالتها... اذ ادركت ان هذه المرأة تفتقد عنصراً اساسياً في حياتها: الحب. فهي لم تعرف الحب ابداً. قضت عمرها وهي محاطة بجدار من الكبرياء والعجرفة، مما جعل التقرب منها مستحيلاً على اي شخص كان. والآن تغمرها خيبة أمل عميقة. كم كان بودها رؤ ية ابنتها كزوجة لدورين... غمر الهدوء جولييت ومات الغضب في داخلها. وعندما خاطبت خالتها من جديد كان صوتها ناعماً رقيقاً:

«سيدة لوزار، يمكنك البقاء برفقتي اذا شئت لكن عليك التحدث في موضوع آخر».

«بكل سرور. خبّريني عن اليخت الذي يملكه دورين».

واخذت جولييت تتحدث عن اليخت بينما كانت خالتها تتأملها بامعان. ولم تمر اكثر من لحظات معدودة حتى سمعت خالتها تهتف بصوت عالٍ:

«الصوت! انه صوتك، يذكّرني بصوت اميلي. ادركت منذ

لقائي بك ان صوتك مألوف لدي لكنني عجزت عن تعيين التشابه».

«اميلي؟ ابنة اختك التي هربت؟».

«نعم. كيف تعلمين ذلك؟».

«اخبرتني تانيا».

«ماذا اخبرتك عنها؟».

«القليل. يبدو انكم لم تهتموا بأمر هروبها».

ظهر العبوس على وجه خالتها لكنه كان ناتجاً عن أمر آخر يقلق تفكيرها فقالت:

«الصوت نفسه والاسم نفسه».

«الاسم؟».

«نعم. اسم اميلي الآخر كان جولييت ايضاً».

«صدفة غريبة».

وفي هذه اللحظة وصل دورين وتانيا لينضما اليهما. وقالت تانيا لاهثة:

«كانت لعبة ممتعة حقاً».

«دورين لماذا لا تأخذ تانيا الى الداخل لتتناول شراباً مرطباً؟».

وانقبض قلب جولييت عندما سمعت خالتها تتفوه بهذه الكلمات، وقررت التدخل فقالت:

«حان وقت الاستعداد لطعام الغداء».

وهمت بالذهاب ثم اضافت: —

«دورين هل سترافقني؟».
«فيما بعد».
احتقن وجه جولييت غضباً، لكنها ابتلعت كلماتها وتوجهت الى الداخل. وعندما وصلت صالة الفندق تذكرت انها تركت كتابها على العشب في الخارج، فعادت ادراجها على مضض. لم تكن تريد العودة الى هناك، وبينما كانت تقترب منهم تخفيها الاشجار سمعت خالتها تقول:
«تانيا! اعرف بمن تذكرني جولييت».
«بمن؟».
«باميلي. فالصوتان متشابهان تماماً».
«صحيح، الصوت دون شك. دورين ألم تلاحظ هذا التشابه بينهما؟».
«لا اعتقد».
«هذا لانك لم تظهر اي اهتمام باميلي».
وقالت السيدة لوزار:
«اليست صدفة غريبة؟ فاميلي تدعى جولييت ايضاً».
فصاح دورين لسماعه ذلك:
«صحيح؟ لم اكن اعلم ذلك».
«هذا لاننا كنا نفضل مناداتها اميلي، فأمي قررت ان اسم جولييت لا يلائمها».
«ماذا؟ اتعنين ان اميلي اسم اخترتوه لها؟».
«كانت تفضل ان ندعوها جولييت. اميلي اسمها الثاني.

لكن ألا ترى ان جولييت اسم لا يوافق قباحة مظهرها؟».

ولسماعها ذلك قررت جولييت العودة الى الفندق قبل ان يلاحظوا وجودها، وقبل ان تفقد السيطرة على هدوئها وتتفوه بكلمات ستندم عليها في النهاية. فعادت الى غرفتها حيث همت بالاستعداد لتناول طعام الغداء.

دخل دورين بعد لحظات قليلة فقالت له:

«أعليك قضاء معظم اوقاتك برفقة تانيا؟ يحسب الناس انك تزوجتها بدلاً مني».

«ومن اين لك الحق بالاعتراض؟ فقدت جميع حقوقك كزوجتي حين اعترفت لي بالسبب وراء زواجك لي».

«لكن تانيا تهزأ مني».

«ليكن ذلك درساً لك».

«لست على استعداد لتحمّل هذا الوضع. لن اسمح لك باهمالي على هذا الشكل».

اقترب منها دورين وامسك بذراعها بقوة جعلتها تصرخ المأ وقال:

«لا اتلقى اوامر من امرأة. اتفهمين ذلك؟».

«دورين انك تؤلمني».

«وسأستمر في تعذيبك حتى يصبح واضحاً لديك انك هنا تتلقين الاوامر ولا تصدرينها. فالزمي مكانك والا ندمت» وتخلى عنها متوجهاً الى الباب فقاطعته بصوت مرتعش:

«هل ستتصرف على هذا النحو طيلة بقائنا هنا؟».

«وماذا تعنين، «على هذا النحو».
«اعني هل تنوي تمضية اوقاتك برفقة تانيا وتركي بمفردي؟».
«نعم انوي التمتع بوقتي وبرفقة تانيا».
نظر اليها بازدراء وسخرية ثم اضاف:
«آسف اذا أزعجك الوضع. لكن اللوم يقع عليك».
«اذن تود الانتقام؟».
«ولماذا يهمك الامر؟ فانت تنوين الانفصال عني في السنة القادمة».
الانفصال... نعم ذلك مشروعها من دون شك. لكنها ادركت الآن ان الانفصال عن دورين سيمهد الطريق امام تانيا للاستيلاء عليه.
«لنفرض انني قررت ألا انفصل عنك؟».
«قرري ما تشائين لكن بقاؤك معي سيكون خاضعاً لشروط عليك التقيّد بها».
«وما هي؟».
«القبول بأن تلعبي دور الزوجة اليونانية».
«ان اصبح لك عبدة؟ ابداً».
لم يجب دورين بل فتح باب الغرفة وخرج.
راحت تانيا تتجول داخل اليخت متأملة ارجاءه، معبرة عن اعجابها وتقديرها ورغبتها بالسفر على متنه.
وقال لها دورين:

«رغبتك ستتحقق فانت مدعوة للسفر معنا الى زاسوس. ما رأيك؟».

«دورين هذا لطف منك. امي مضطرة للعودة الى انكلترا لكن بامكاني البقاء من دون شك».

وقالت السيدة لوزار مخاطبة ابنتها، وغير مبالية لوجود جولييت:

«بكل تأكيد يا عزيزتي. لا تدعي فرصة كهذه تفلت من يدك».

تجمد الدم في عروق جولييت، فهي للمرة الثانية في حياتها تخضع للذل والاهانة ومن الرجل نفسه. معاملته لها اشبه بمعاملة السفاح لضحيته. لن يطول تعذيبه لها فهي ستغادره حال وصولها الى زاسوس.

«اعلينا مغادرة اليخت الأن؟».

واجاب دورين على سؤال تانيا:

«لا تنسي ان اليخت في حالة تصليح. لا نستطيع البقاء هنا لوقت طويل».

«آه، صحيح. نسيت ذلك يا عزيزي دورين».

وتوجهوا الى الفندق من جديد. كانت جولييت تتمنى لو ان بمقدورها مغادرة دورين على الفور. فهي لم تعد تقوى على تحمل المزيد من الاحراج. لكنها لم تر اي سبب يدعوها للرحيل الى انكلترا مباشرة، تاركة حاجياتها في زاسوس، وخاصة انه لم يكن بجعبتها سوى القليل من المال.

قضى دورين معظم اوقاته برفقة تانيا خلال الايام الثلاثة التي تلت. بقيت جولييت بمفردها فقررت ان تستغل فرصة وجودها في رودس لزيارة الاماكن الاثرية المهمة. كانت صباح كل يوم تنضم الى مجموعة من السياح للتجوال حول الجزيرة.

وسألها دورين مرة خلال تناولهما طعام الفطور:

«الى اين ستذهبين اليوم؟».

«ولماذا يهمك الامر؟».

«مجرد لباقة مني لا اكثر».

«شكراً، لا تزعج نفسك».

«جولييت اريد منك الاعتناء بنفسك».

لم تجب جولييت. كانت تحاول تفسير عواطفها نحوه. لماذا يؤلمها اهماله لها؟ لماذا تشعر بعذاب رهيب يمزق احشاءها؟ اهي تعاني من الغيرة؟ لا... مستحيل...

«لم تسعدني دعوتك تانيا لمرافقتنا الى زاسوس».

«ولم لا؟ فتانيا صديقة اعرفها منذ زمن».

ضحكت جولييت واجابت:

«انت اول رجل يرافق امرأة اخرى خلال شهر العسل مع زوجته».

«وما الذي يجعلك تعتقدين انها كانت امرأتي؟».

«كانت في الماضي ومن الأرجح انها عادت تتربع على العرش نفسه».

«كانت؟ ومن اخبرك ذلك؟».

«لا احد. اعرف ذلك».
قال وهو ينظر اليها بامعان:
«تعرفين ذلك؟ امر غريب».
«واين الغرابة؟ الامر واضح».
«توصلت الى افتراض خطير وعليك الآن تزويدي بتبرير له».
«لست مستعدة لدعم افتراضي او ايجاد تبرير له. يكفي انني اعلم انكما كنتما عاشقين في الماضي».
وساد الصمت بينهما. بدا التفكير على وجه دورين ثم قال:
«كما اخبرتك سابقاً، انك تثيرين حيرتي. فهنالك غموض يحيط بك».
وبدا عليه العبوس ثم استطرد قائلاً:
«وكأن هناك شيئاً تخفيه عني. مما يجعلني اتساءل من جديد عن هدف زواجك مني».
«تعرف الهدف».
بدأ قلبها يخفق بسرعة وتظاهرت انها تجهل معنى سؤاله وقالت:
«سؤالك لا ضرورة له».
«صحيح؟ أخبريني من جديد اذن. واريد الحقيقة هذه المرة. فاذا كنت تصرين على اخفائها عني، ساضطر للالتجاء الى طرقي الخاصة لارغامك على البوح بها».
شحب لونها وشعرت بقلبها ينفجر، لكنها جمعت قوتها

وعزمها ولم تيأس بل اخبرته، رغم الشك الذي يساوره الآن، بانها تزوجته من اجل ماله. بدت الحيرة على وجه دورين، وكأنه لم يعد يصدق قولها بعد الآن، أجاب:

«لكنك مستعدة للانفصال قبل حصولك على المال؟».

«لم اكن اتوقع ان تعاملني بهذه القسوة».

«اذن اكتشفت ان خطتك فشلت، وحبل الكذب قصير».

«الذي اكتشفته هو اننا كلينا نرغب بالانفصال».

«ولماذا تعترضين اذن على قدوم تانيا معنا الى زاسوس؟ اتلعبين دور الزوجة المضطهدة الآن؟».

لم تجب جولييت، فقدت الصبر على الاستمرار في هذا الحديث. لذلك غادرت الفندق في صحبة مجموعة من السياح، وحملهم الباص الى قرية لندوس، وهي من اشهر قرى جزيرة رودس.

جلست جولييت قرب رجل جذاب اسمر اللون طويل القامة؛ حاول التحدث اليها عندما رآها وحدها. فبادلته الحديث وشيئاً فشيئاً توطدت العلاقة بينهما. وانضم الى شملهما رجل آخر، كان في الخامسة والستين من عمره، يعمل صحافياً وهو في رحلة حول الجزر اليونانية يكتب انطباعاته عنها. بات الحديث بينهم مشوقاً، ونسيت جولييت همومها وشاركتهما التمتع بالرحلة.

وعندما وصل الباص الى المكان المتوقع، بقيت جولييت برفقة ليونارد الصحافي، وجاك، الشاب الآخر.

قرروا زيارة الاكروبوليس معاً. وعندما بلغوا المكان المقصود، راحوا يتأملون عظمته وروعته وسيادة اجوائه. كانت اعمدته الشامخة ترتفع بجرأة لتتحدى الشمس، وتعانق السماء وزرقة البحر.

كان المكان يغص بالسياح، تسمع فيه لهجات متعددة كالفرنسية، والانكليزية، والالمانية والسويدية وغيرها.

استأذن ليونارد من جاك وجولييت، اذ كان عليه الاختلاء بنفسه لفترة قصيرة ريثما يدوّن ملاحظاته عن المكان. اشرق وجه جاك فقد كان ينتظر هذه الفرصة لينفرد مع جولييت. فدعاها لزيارة القلعة برفقته. وافقت جولييت وهي تضحك في سرها.

ماذا لو تخبره انها في رودس لامضاء شهر العسل مع زوجها؟

«لنجلس قليلاً، بدأت اشعر بالتعب».

نظرت جولييت حولها باحثة عن مكن للجلوس ثم قالت:

«ترى! هل يمكننا ايجاد مكان مناسب؟».

«اعرف مكاناً في المدينة لا يبعد سوى مسافة قصيرة فما رأيك؟».

«وليونارد؟».

«ساذهب لاخبره عن مكان وجودنا لينضم الينا حال انتهائه من الكتابة».

وترك جاك جولييت بمفردها. وبعد دقائق فوجئت جولييت بسماع صوت خالتها قادماً من وراء الجدران حيث كانت

واقفة.

«مؤسف ان دورين اضطر لالغاء موعده معك».

«تلقى مكالمة هاتفية طارئة. يبدو ان المسؤولين عن تصليح اليخت بحاجة اليه لتقرير أمر ما».

«هل اخبرك شيئاً عن زوجته؟».

«لا. انه لا يذكرها ابداً».

«من الواضح انهما تشاجرا. يظهر انها تزوجته طمعاً بثروته وانه اكتشف نواياها وقرر وضع حد لعلاقتهما».

«طمعاً بثروته؟ لكنها اذكى من ان تقر له بالحقيقة وخاصة خلال شهر العسل».

«لماذا يهملها اذن مفضلا وجوده برفقتك؟».

«لانه كان يحبني الى حد الجنون واكتشف انه لم يزل يحبني».

«ولماذا لم يعرض عليك الزواج؟ تعلمين كم نحتاج للمال في هذا الوقت. فنحن بحاجة لمغادرة المنزل في دورست والاستقرار في منزل آخر يناسب مكانتنا الاجتماعية».

«وما الذي يجعلك تعتقدين انه لو كان زوجي لاغرق اهلي بالمال؟».

«انها تقاليد اليونانيين. فهم حريصون على ارضاء والديهم».

«لو استطيع اقناعه بالتخلص منها! فهو ملكي قبل ان يصبح لها. لو قبل بالمكوث معنا لمدة اطول لكنت نجحت في ان أجعله يطلبني للزواج».

«لا تنسي انه دعاك الى منزله. يدل ذلك على انه لا يحب زوجته بل يهتم بك اكثر. عليك استغلال هذه الفرصة وتحويلها لفائدتك».

«لا افهم لماذا تزوجها؟ اعلم انها جميلة المظهر، ولا شك ان دورين افتتن بها ولكن ما الذي دفعه الى الزواج منها؟».

«أتعنين انه كان عليه الاكتفاء بصحبتها؟».

«نعم. فلو فعل ذلك لكان من السهل التخلص منها الآن. لقد ملّ منها ولا شك».

«يمكنه ان يطلقها».

«أليس الطلاق صعباً في اليونان؟».

«لا، لا شيء صعب على دورين. لم يبق لديك سوى محاولة الاستيلاء عليه».

لاحظت جولييت جاك يقترب منها فابتعدت عن الجدران بسرعة.

«جاهزة؟».

اومأت برأسها وهمت بمتابعته.

«تعالي اذن سنذهب لتناول شراب مرطب. لن يستطيع ليونارد الانضمام الينا. قال انه يشعر بالتعب وسيعود الى الفندق».

توجها الى ساحة المدينة حيث جلسا يتناولان عصير الليمون الطازج، وبدأ جاك بالحديث قائلاً:

«لاخبرك عني: انا تلميذ في كلية التربية وانت؟».

«متزوجة في شهر العسل».
«ماذا؟ ولكن اين زوجك؟».
«اضطر للذهاب الى مكان آخر».
«لكن. . . ألم تقولي انكما في شهر العسل؟».
«صحيح. لكننا نفضل الانفصال عن بعضنا بين الحين والآخر ولمدة موجزة طبعاً».
رمقها جاك بنظرة قلقة ثم قال:
«هل انت سعيدة في زواجك؟».
ضحكت جولييت واجابت:
«طبعاً».
لكن الحقيقة تختلف فهي لم تزل تفكر بما سمعته على لسان تانيا وخالتها. . . لا تقوى على التفكير بتانيا زوجة لدورين.
كان جاك على وشك ان يتكلم من جديد عندما لمحت جولييت تانيا تقترب منهما. القت عليهما التحية ثم قالت:
«لم اعلم بوجودك هنا. هل جئت برفقة فريق من السياح؟».
«نعم».
«وانا كذلك. كان يمكن ان نأتي معاً. هل بوسعنا الانضمام اليكما؟».
وانتقل نظرها الى جاك. لكن جولييت اجابت:
«آسفة. فنحن بانتظار شخص آخر سينضم الينا عن قريب»

«آه. . . الى اللقاء اذن».
وذهبت تانيا لتنضم الى والدتها.
وفي المساء عادت جولييت الى الفندق. وقع نظرها على تانيا ووالدتها تتحدثان الى دورين. تجاهلت وجودهم وتوجهت الى غرفتها. وهناك انضم اليها دورين بعد لحظات قصيرة، ويبدو عليه غضب شديد. فسألته جولييت.
«ما الذي يقلقك؟ تبدو على وشك الانفجار!».
«الى اين ذهبت اليوم؟».
«الى لندوس».
«ومن يكون الرجل الذي كان يرافقك؟».
«آه. . . اخذت تانيا على عاتقها امر التجسس علي».
«طرحت عليك سؤالاً. من يكون هذا الرجل؟».
«جاك. تعرفت عليه خلال الرحلة».
هدأ دورين قليلاً ثم اضاف:
«احذرك من اعادة هذا التصرف مرة اخرى، وطيلة المدة التي ستكونين خلالها زوجتي. عندما ننفصل يمكنك التصرف كما تشائين».
«وانت؟».
«امر لا يتعلق بك».
«هل ستتزوج تانيا؟».
«ربما».
«لماذا لم تتزوجها من قبل؟».

«لم يفت الاوان بعد. ارتكبت غلطة يجب اصلاحها الآن».
«اذن، تتمنى لو تزوجتها منذ زمن؟».

ابعد نظره عنها وبدا على وجهه الاكفهرار. شعرت جولييت ان شيئاً في داخلها قد انطفأ. احست انه لم يعد لوجودها على هذه الارض اي معنى. ما سبب هذا الفراغ الذي حل في اعماقها؟ أيمكن انها لا تزال تحب هذا اليوناني الذي لا يُقهر؟ كانت تنتظر رداً على سؤالها، فاجابها دورين بصوت جامد، مجرد من اي تعبير:

«نعم. أتمنى لو تزوجت تانيا منذ زمن».

١٠- جسر العودة

تنفست جولييت الصعداء حين رسا اليخت في مرفأ زاسوس. فقريباً سيحملها البحر الى وطنها من جديد. ستعود الى حريتها... الى حياتها الخاصة وامورها الشخصية تاركة وراءها دورين وتانيا يقرران مستقبلهما. تجاهلها زوجها طوال الرحلة وكرّس وقته لتانيا، مما أضاف لشعور جولييت بالوحدة والنبذ. لكنها قررت الآن ترك هذه الفترة من حياتها والاستعداد لمستقبل افضل.

وصلت المنزل وصعدت الى غرفتها وفي ذهنها تحتشد افكار متشابكة ومتضادة. حاولت درس الموقف بدقة ووضع مخطط لهربها يمكّنها من مغادرة المنزل والجزيرة دون معرفة دورين، الا

بعد فوات الأوان.

ستجمع حقائبها تاركة وراءها جميع الثياب والجواهر التي اشتراها لها. وغداً ستتولى مهمة شراء تذكرة السفر.

جلست جولييت في غرفتها، تنظر حولها بكآبة وندم. ماذا حل بحياتها؟ فمنذ شهرين فقط كانت مطمئنة البال، هادئة الاعصاب، صافية الذهن، سعيدة ومستقرة. شاء القدر ان يجمعها بدورين كوراليس من جديد. فاشتعلت في داخلها نار الحقد والكراهية. راهنت بكل ما بنته وحققته خلال السنوات التسع الماضية لاجل هدف واحد: الانتقام. وها هي تحصد ثمار ما زرعت، وستعود الى لندن لتحاول بناء حياتها من جديد. لكن الامر لم يعد سهلاً كما تخيلته، حين اعدت مخططها في البداية. هناك شيء لم تتوقع حدوثه. شيء ولد في داخلها وبات ينمو وينضج رغم محاولتها اليائسة في مقاومته، وفي خنق جذوره ودفنها الى الأبد.

اخذت جولييت من حقيبتها كتاباً، غلافه من الجلد الاصلي المرصع بكتابة ذهبية، ونظرت اليه نظرة حنان. كانت ماغ قد قدمته لها هدية لأنها تعرف حبها للمطالعة وخاصة مطالعة الشعر، فاشترته لها من حانوت يتاجر في بيع السلع المستعملة. اخذت الكتاب وتوجهت الى الصالة حيث جلست تطالع. انفتح الباب بعد قليل ودخلت منه تانيا مرتدية ثوباً للسهرة، مصففة شعرها، مزينة وجهها وكأنها على استعداد للخروج وقضاء السهرة في افخم فندق في المدينة. ولدى رؤية جولييت

قالت:

«آسفة، اعتقدت انني سأجد دورين هنا. لكن بما اننا بمفردنا، ساغتنم الفرصة للتحدث اليك. اعلم انني فاجأتك بوجودي هنا. لكنني سأدخل في الموضوع مباشرة. متى ستنفصلين عن دورين؟».

«انفصل عن دورين؟ وهل قال لك اننا سننفصل؟».

«اذا اجبت نعم فماذا ستفعلين؟».

«سأذهب اليه حالاً واعترض».

«هذا ما كنت اخشاه. لأقل لك الحقيقة اذن. عندما كنت في طريقي الى غرفتي ليلة امس، صادف انني مررت من امام غرفتكما وسمعتكما تتشاجران. كان دورين يستفهم عن الرجل الذي كنت في رفقته. اتذكرين؟».

«اذكر. اذن كنت تستمعين الى حديثنا من وراء الباب».

«لم افعل ذلك عن قصد».

«لا اصدّقك. لكن اكملي حديثك».

«سمعت دورين يقول انكما ستنفصلان، وانه من الممكن ان يتزوجني بعد ذلك. طبعاً بعد تتمة الطلاق بينكما».

«طبعاً. وماذا ايضاً؟».

«سمعت ما يكفي لاقناعي، ان دورين ما زال يحبني ويرغب ان يتزوجني، حتى انه اعترف بان انفصالنا كان غلطة يجب اصلاحها».

«ربما سمعت ما يطرب آنذاك، لكنك ستسمعين الآن ما

اريدك ان تسمعيه، وهو ان امكانية زواجك بدورين مستحيلة. اذ لست على استعداد لمغادرته. لا الآن، لا الغد ولا في اي وقت آخر. فان كان لم يزل لديك قليل من عزة النفس، انصحك بجمع حقائبك ومغادرة منزلي حالاً».

«منزلك؟ لن يصبح هذا منزلك اطلاقاً. ستضطرين الى الرحيل، دورين سيهتم بذلك. انه يريدني انا، أتسمعين؟».

«لا ارغب في مناقشة هذا الموضوع. اريدك فقط ان تعلمي... اذا كنت تسعين لاحتلال مكاني، فعليك الانتظار لوقت طويل جداً».

ووقفت جولييت تستعد لمغادرة القاعة. لكنها افلتت كتابها من يدها ووقعت منه صورة على مقربة من تانيا. انحنت تانيا لتلتقط الصورة، وحين وقع نظرها عليها شهقت لشدة دهشتها وقالت:

«من اين لك هذه الصورة؟».

ادركت جولييت انها في مأزق. فالصورة صورتها قبل عملية التجميل، الصورة التي التقطها لها دورين... بعد ان اطلعت ماغ عليها وضعتها داخل الكتاب ونسيت كل شيء عنها. كيف ستشرح لتانيا هذه الصدفة؟.

«سألتك من اين حصلت على هذه الصورة».

«لكن لماذا يهمك الامر؟».

«أتعلمين صاحبة هذه الصورة؟».

«لا».

ووجدت جولييت الحل لهذه الورطة، فقالت:
«قدمت لي صديقة هذا الكتاب كهدية. انه كتاب مستعمل».
«انها صورة ابنة خالتي. اميلي».
«صورة اميلي؟».
دخل دورين الى الغرفة فجأة. واسرعت اليه تانيا وفي يدها الصورة:
«دورين، اتذكر الصورة التي التقطتها لاميلي خلال مكوثك معنا؟».
«اذكر».
«حسناً، ها هي. كانت في الكتاب الذي تملكه جولييت».
«جولييت؟ وكيف تفسرين ذلك؟ فجولييت لا تعرف اميلي».
ونظر دورين الى جولييت نظرة تساؤ ل فاجابت:
«كانت في هذا الكتاب. اشترته لي صديقتي من حانوت للسلع المستعملة».
«كانت في الكتاب؟ دعيني القي نظرة عليه».
اخذ دورين الكتاب وراح يتفحصه بامعان.
«هل كانت اميلي تملك هذا الكتاب؟».
واجابت تانيا:
«لم اره ابداً من قبل. على اية حال، لم تكن اميلي من النوع الذي يقرأ كتب الشعر».

«صدفة غريبة».

«جولييت وصورة اميلي. جولييت والصوت نفسه، والاسم نفسه وحتى لون الشعر يطابق شعر اميلي».

«ماذا؟ كنت أظن ان شعر اميلي اسود اللون».

«صبغته. حين وقع نظرها على صورتك، وقعت في حبك وارادت ان تلفت نظرك اليها فصبغت شعرها اسود لعلمها انك تفضل السمراوات».

بدت على دورين الدهشة وكأنه اصيب بصدمة قوية.

«ماذا؟ وقعت في حب صورتي؟ فصبغت شعرها لتلفت نظري اليها؟».

كان يردد ذلك لنفسه بصوت ناعم، ثم اضاف:

«لم اكن اعلم... اعتقدت»...

توقف عن الكلام وظهرت على وجهه حيرة عميقة. كانت جولييت تراقبه بدهشة. فهي ايضاً بدأت تتذكر الماضي ونزهتها في الغابة مع دورين.

«هذه الطفلة... اذكر الآن وبوضوح انها كانت غامضة، واثارت حيرتي، لكنني اعتقدت انها»...

وقاطعته تانيا قائلة:

«دورين لا افهم ما تحاول ان تقول. انت بنفسك قلت ان اميلي كانت مجردة من اية اخلاق».

«قلت ان على والديك مراقبة تصرفاتها. نعم قلت ذلك، لكنني لم اعلم انها وقعت في حب صورتي. لم تذكري لي ذلك

ابداً».
«وماذا كان ينفع ان اذكر قصة سخيفة كهذه؟».
«كان كل شيء تغيّر. اخطأت في حكمي على هذه المسكينة، وانا الذي أفخر بكوني عادلاً».
«الا ترى كيف انها حاولت اغراءك وهي لا تستحق حتى ان تكون لك خادمة؟».
«هذا يكفي»...
كان دورين في حالة غضب شديد، وادركت تانيا انه فعلاً تأثر لهذه القصة. اذ تابع قوله:
«لن نتحدث عن هذه الطفلة بعد الآن».
«طفلة؟ لم تكن طفلة بل فتاة ماكرة كالثعلب، لكنها تلقّت الدرس الذي تستحقه»...
«وماذا تعنين بذلك؟».
تلت عليه تانيا القصة التي جرت بعد رحيله، وكيف ان الجميع عرفوا بما حصل ولم يعد يحترمها احد من سكان القرية.
ارتفع حاجبا دورين لسماعه ذلك وسألها قائلاً:
«وما كانت نتيجة هذا الاضطهاد الذي تدعينه عقوبة؟».
ترددت تانيا قليلاً ثم اجابت:
«النتيجة انها هربت».
«بمفردها؟».
«اعتقد»...
«الم تذكري سابقاً انها هربت برفقة رجل؟ اكنت

تكذبين؟».

تجهم وجه تانيا لوهلة وبدا عليها التفكير. كانت تحاول اختيار كلماتها. فاجابت:

«لا افهم معنى هذه المناقشة. لماذا هذا الاهتمام المفاجىء باميلي؟».

«لانني ادركت الآن أنني أخطأت فهمها. قلت من قبل انكم اعتنيتم بها على احسن وجه. قدمتم لها الحب والعطف والعناية المادية. فلم ار اي دليل على ذلك خلال وجودي معكم».

«ما زلت لا افهم».

«ان كان هذا الكتاب يخص اميلي، فمن المعقول جداً انها فارقت هذه الحياة».

«وما الذي يجعلك تفكر ذلك؟».

«لان الكتب تصل الى حانوت السلع المستعملة، متى توفي صاحبها».

وقفت جولييت تراقب زوجها وتانيا بصمت، محاولة ان تتابع ما يجري. أخذت تنظر الى دورين بعينين جديدتين، وكأنها تراه لأول مرة. كانت تشهد في زوجها حقيقة لم تكن تدرك وجودها من قبل. اتضح لها فجأة من خلال حديثه انه لم يقصد ايذاءها ابداً. وضاعت من قلبها رغبة الفرار. فهمت الآن ان الشعور الذي كانت تقاومه بشدة، محاولة احباطه، هو شعورها بالحب تجاه دورين. احبته منذ سنوات، ولم يختف هذا الحب ابداً، بل ظلّ دفيناً في أعماقها ينتظر ساعة الفرج، وها هو ينبثق الآن

لكن جولييت فقدت آخر فرصة لها باسترجاع سعادتها، فدورين لن ينسى الاسى الذي سببته له. وقطعت تانيا حبل افكارها حين قالت:

«لا اعتقد ان اميلي توفيت».

واجاب دورين بلؤم:

«اذن لماذا لم تسمعوا عنها شيئاً منذ رحيلها؟».

«وهي لم تهتم لما حلّ بنا ايضاً».

كان الاضطراب بادياً على وجه دورين، وكأنه يؤنب نفسه لما حل باميلي. فهو يدرك الآن انه اساء فهمها واخطأ في حكمه على تصرفاتها، بات واضحاً لديه ان اميلي لم تكن سوى خادمة لاسرة لوزار الذين كانوا يدّعون دائماً انهم يغرقون عليها العطف والحب والحنان. وقالت جولييت لدورين بصوت رقيق:

«دورين، لا تقلق فاميلي بخير».

نظر اليها دورين بفضول وقال:

«أتحاولين التخفيف من قلقي؟».

«نعم».

كانت تانيا تنظر الى جولييت نظرة ساخطة وقالت:

«لا ادري لماذا الاهتمام بهذه الفتاة الحقيرة، فهي لم تسبّب لنا سوى المتاعب. ولا شك انها الآن متزوجة بفلاح يلائم مقامها وانجبت له اولاداً كثيرين. لا بد انها الآن منهمكة باعمالها المنزلية».

عند سماعها هذه الكلمات لم تعد جولييت تقوى على تحمل المزيد من الشتائم والاهانات، ولم تعد تأبه للاحتفاظ بسرها، فقالت مخاطبة تانيا:

«اميلي لم تتزوج بفلاح، وليست منهمكة في العناية بأمور سخيفة. كم تكرهين ابنة خالتك وتحقرينها! وكم انت واثقة من انها تعيش حياة قذرة. فهذه الفتاة التي وصفتها بالقبح والدناءة، هذه اليتيمة التي لم يكن لها اي اعتبار لدى الاسرة التي تظاهرت بالاعتناء بها، حققت لنفسها حياة محترمة وجديرة بالتقدير. نعم. وجدت اميلي اسرة تؤمن بالانسانية وفعل الخير، فاحتضنتها واعادت اليها الامل بهذه الحياة وبالعالم من حولها».

ساد الصمت بينهم لحظات بدا كأنها لن تنتهي. بالنسبة الى جولييت، كان الستار انسدل على مسرحية بلغت نهايتها، ولم يعد في الافق سوى شعاع ضئيل يبشرها بابتداء نهار آخر في الغد القريب. لم يعد امامها سوى الرحيل. ستعترف لدورين انها تزوجته رغبة بالانتقام، وانها ليست حاملاً بل استعانت بهذه الكذبة لتتحرر من سجنها. لن يحاول منعها عن الرحيل، بل سيدعها تغادر الجزيرة بسلام. ولا تعتقد انه بعدما حدث سيسمح لتانيا بالبقاء ايضاً. ولتضع حداً لتساؤلاتهما قالت:

«اليس واضحاً لديكما الآن انني اميلي؟».

ثم اضافت:

«عندما تركت القرية تعرضت الى حادث».

وهتفت تانيا وهي ما تزال تتساءل عما يجري:
«حادث؟».
«حادث ارتطام بباص. كنت في حالة قلق شديد. كنت خائفة على مستقبلي وكيفية اعالة نفسي، فاجتزت الطريق من دون النظر الى ما حولي»...
واخذت جولييت تسرد عليهما القصة كما حصلت ثم ختمتها قائلة:
«هذه قصتي بكاملها، دورين. اما بالنسبة اليها»...
ورمقت جولييت تانيا بنظرة احتقار ثم اضافت:
«لم تعد بيننا اية صلة على الاطلاق. وأتمنى الا اراها او اهلها من جديد ابداً ولبقية حياتي».
ولم تستطع السيطرة على نفسها بعد هذا، وقد أعماها شعورها فتركت الحجرة واغلقت الباب وراءها بهدوء.
ولم يمض على وجودها في غرفتها سوى دقائق معدودة حتى دخل دورين، اقترب منها وقال:
«تانيا تستعد للرحيل».
شحب لون جولييت وتساءلت عما يدفعه لاخبارها بذلك فقالت:
«هذا ليس من شأني».
«بل انه من شأنك».
كان صوته ناعماً، حنوناً، كما اعتادت ان تسمعه في بداية زواجهما، فقالت:

«اتعني انك تريدني ان ابقى معك؟».

«احببتني مرة... اتضحت لي الآن طبيعة تصرفاتك الماضية وسببها فأنت تزوجتني رغبة بالانتقام أليس كذلك؟».

«نعم».

«لا اقوى على لومك، فلو كنت انا في مكانك لتصرفت بالمثل. يسعدني ان زواجك لي كان بدافع الانتقام ولم يكن طمعاً بالثروة».

أومأت جولييت برأسها واجابت:

«ليس للمال أي أهمية لدي».

«وهذه الرغبة بالانتقام، هل رافقتك منذ رحيلك عن القرية؟».

«شعرت نحوك بالضغينة طوال السنين الماضية، لكنني لم اتوقع ان تسنح لي الفرصة حقاً للأخذ بثأري».

«جولييت... احببتني في الماضي»...

«وما زلت احبك».

اقتربت منه بقلب جديد، كان التوتر بينهما قد انقشع كالسحابة، والعاطفة التي تجمعهما اخذت تُشعرهما بنفسها فجأة وتركا لقلبهما حرية الشعور بالحب. تحطمت الحواجز امامهما، وهبط الجدار...

همس دورين في اذن زوجته:

«جولييت، حبيبتي. كم ظلمتك واسأت فهمك. لم ادرك ان تصرفك ذلك الحين، منذ تسع سنوات، كان ناتجاً عن حبك

لي».

«ربما ما حصل، كان في النهاية لفائدتي، اذ اضطررت الى مغادرة القرية وشق طريقي بنفسي، والا لما كسبت ثقتي بنفسي وبالعالم».

«اعلم انك تحاولين التخفيف عن شعوري بالذنب. لكنني لا استحق ذلك».

لم تجب جولييت بل تطلعت في عينيه بشوق، مدركة ان الوقت حان لتخبره انها ليست حاملاً لكنه فاجأها بقوله:

«لست حاملاً. أليس كذلك؟».

«ولكن كيف عرفت الحقيقة؟».

«فكرت انك ربما لجأت الى هذه الحيلة لكونها السبيل الوحيدة لكسب حريتك. اعلم انني عاملتك بطريقة رهيبة... ارجو ان تسامحيني».

«لكن معاملتي لك كانت اسوأ بكثير. اردت تحطيمك، تجريدك من عزة نفسك وكبريائك. اردت ايذاءك وحاولت جهدي ان انجح في محاولتي».

«لا يا عزيزتي»...

«لا بل نعم».

«حبيبتي لا اسمح لك بمشاجرتي منذ الآن. فما اقول انا هو الحقيقة، وعليك القبول بها دون اعتراض».

وظهرت على وجهه ابتسامة الرضى، وبرقت عينا جولييت من الفرح والسعادة.

«ساتذكّر ذلك. لن اتشاجر معك ابداً».

«تانيا... لم تعن لي شيئاً على الاطلاق. كيف يمكنني اقناعك بذلك؟».

«هل كان اهتمامك بها لاجل ايذائي؟».

اومأ برأسه واجاب:

«نعم. كما انني دعوتها للمكوث معنا للسبب نفسه. اردت احراجك واحتقارك».

«دورين. لننسَ الماضي واحزانه، ولنركّز على المستقبل الذي ينتظرنا».

فتح دورين لها ذراعيه وهو يحدق في عينيها الساحرتين، واجاب:

«كل ما اريد ان فعله الآن هو ان اردّد على مسمعك ليل نهار، ومرة بعد مرة كم أحبك!».

لم يكن لجولييت اي اعتراض على ذلك، فدفنت رأسها في صدره واغمضت عينيها بأمان. غمرها دفء الطمأنينة فهي وجدت أخيراً جسر العودة، العودة الى ذلك الشعور الذي ولد في اعماقها منذ سنين طويلة، بعيدة، لكنها فقدته وضلت طريقها اليه. وها هو يعود كالحلم المستعاد، كم يحلو العيش في ظله!

وأغمضت عينيها...

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى
السر الدفين
طال انتظاري
الوجه الآخر للذئب
برج الرياح
الماضي لايعود
لقاء الغرباء
وردة قايين
عصفور فى اليد
الغيمة أصلها ماء
الهوى يقرع مرة
خيط الرماد
الصقر واليمامة
حتى تموت الشفاه
أصابع القمر
وعاد فى المساء
القرار الصعب
الفريسة
أريد سجنك
خطوات نحو اللهب
دمية وراء القضبان

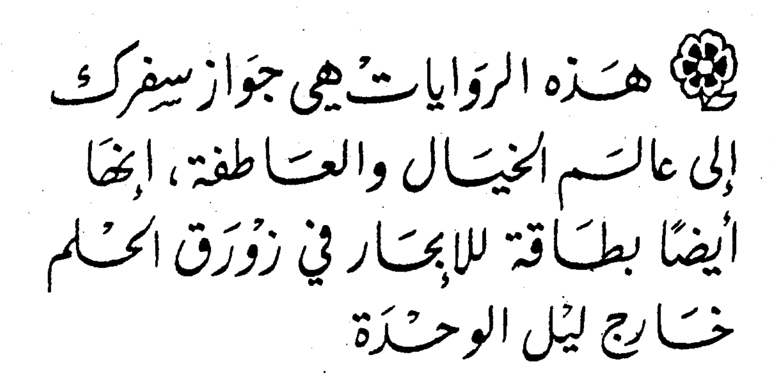
عذراء فى المدينة
الامواج تحترق
العروس الاسيرة
رجل بلا قلب
سيدة القصر الجنوبى
شهر عسل مر
عيناك بصري
من أجل حفنة جنيهات
رجل من نار
نداء الدم
ليالي الغجر
ما أقصر الوقت
قلب فى المحيط
المجهول الجميل
الزواج الابيض
أقدام فى الوحل
قال الزهر آه
كيف أحيا معك
غضب العاشق
مزرعة الدموع
الواحة

آخر الأحلام
هل تخطىء الانامل
البحر الى الأبد
الحصار الفضي
الشبيه
الكذبة
الندم
انت لي
جراح باردة
طائر بلا جناح
عاطفة من ورق
قطار فى الضباب
قل كلمة واحدة
مندلا
تعالى
السعادة فى قفص
هاربة
هذيان
أرياف العذاب
اللهب والفراشة
لا ترحلي

روائع الأدب الرومانسي

- الضائعون
- صرخة البراري
- دليلي
- دخان
- الثأر
- وفازت
- خذ الحب واذهب
- اللؤلؤة
- لا تقولي لا
- المجهول
- بين السكون والعاصفة
- رمال في الأصابع
- الشريدة
- شاطئ العناق
- ذهبي الشعر
- تعالى إلى الأدغال
- الفخ
- في قبضة الأقدار
- دليلة
- القيد
- الماس اذا التهب
- الحمقاء الصغيرة
- حائرة
- نهر الذكريات
- نبع الحنان
- اليخت
- إثنان على الطريق
- سيد الرعاة
- غفرت لك
- عنيد
- صعب المنال
- أين المفر
- القرصان
- اللمسات الحالمة
- لحظات الجمر
- النجمة والجليد
- توأم التنين
- البحار الساخر
- جرح الغزالة
- لمن ترف الجفون
- الشمس والظلال
- أنين الساقية
- شريك العمر
- سمعاً وطاعة
- أيام معها
- صحراء الثلج
- الأغنية المتوحشة
- بانتظار الكلام
- يدان ترتجفان
- ممر الشوق
- المفاجأة المذهلة
- أسوار وأسرار
- الإرث الآسر
- عروس السراب
- الحد الفاصل
- الحصن المرصود
- كالسحر
- تناديه سيدي
- أعدني إلى أحلامي
- المنبوذة
- الخطاف
- الوعد المكسور
- السجينة
- الخلاص
- هديتي





❀ هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء، ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...



مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

